جامعة المنيا

كلية الدراسات العربية



قراءة في فكر النزارية

تأليف

الدكتور

السيد محمد سيد عبد الوهاب

كلية الدراسات العربية - جامعة المنيا

طبعة مطبعة العصر
ش ٦ أكتوبر - المنيا
ت : ٠٨٦ - ٣٣٩٢٠٦

"ألمص ، كتاب أنزل إليك ، فلا يكن في صدرك

حرج منه ؛ لتنذر به وذكرى للمؤمنين"

"سورة الأعراف ــ الآيتان ١ ، ٢ "

الإهداء

إلى أخي وصديقي

مصطفى كمال توفيق

أملا في غد جديد .

التصدير

تعد لغة وصورة الدم من الملامح العامة المرتبطة بالنواحي الصراعية في تاريخ الإنسانية ، فقد تؤدي في بعض المواضع إلى تدمير الإنسان للإنسان أو تدمير الإنسان لنفسه بالانتحار .

وعند الجماعات تؤدي لغة الاقتتال والاغتيال إلى غياب الحوار ، واندثار الفكر الصحيح ، وانتشار الفوضى ، وانهيار الثوابت السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وازدياد حدة الصراع بين الآراء يؤدي إلى أن فرض هيمنة المنتصر للغته على الآخر المنهزم .

ولعل المتجول في تاريخ الفرق الدموية التي نشأت تحت عباءة الإسلام يجد كثيراً من لغة الجدل ,وكثيراً من لغة العنف والقتل استأثرت بها هذه الجماعات والفرق من أجل مآرب وأهداف لا يعلمها إلا الله .

مما دفعني إلى البحث وإلقاء الضوء لمعرفة جذر من جذور العنف المسلح الذي أدى إلى إزهاق الأرواح التي لم تقترف آنذاك ذنباً وساهم في تقويض دولة الإسلام من تحت عباءته .

ولعل الإسماعيلية أشهر هذه الطوائف أو الفرق باعتبارها أم الفرق في استخدام العنف في نشر مذهبهم وسيادتهم ، لكني أردت الوقوف على فرقة النزارية ، تلك الفرقة التي هي بمثابة الفرع من الأصل شعارها الموت غاية من أجل تحقيق الهدف .

طائفة أو فرقة احترفت الاغتيالات في تصفية الخصوم ونجحت في جزء من الزمن في قيام دولة لها أفكارها وآراءها ولن تندثر آثارها حتى الآن .

ولما تداخلت الأوراق عندي وعند غيري وكذلك ما رأيت وعايشت وعانيت فكان لزاماً علي أن أدلو بدلوي في هذا الموضع بعد أن تكاتفت الأيدي من أجل تقويض الإسلام من تحت عباءته وباستخدام مسمياته والانطلاق أحيانا من تحت ثوابته وفق تأويلات خاطئة أدت بنا إلى ما نحن فيه .

ولا نملك إلا أن نلجأ بالضارعة إلى الله بأن يفرج كروب هذه الأمة ويشرح صدور قوم مؤمنين .

وبالله التوفيق .

المقدمة

لعل القارئ المتأمل في فكر الشيعة يجد نفسه مقدماً على تراث ضخم من المؤلفات الزاخرة التي تسير في اتجاهات ثلاثة : **إما أن تؤرخ لفرق الشيعة ، أو تحاول تقديم دراسات منهجية في الرد عليهم عن طريق إبراز الخلاف بين عقيدة أهل السنة واعتقادات ومذاهب الشيعة ، أو تحاول أن تنصف بعضاً من فرق الشيعة وتعتبرها غير خارجة عن حركة الإسلام وناهيك عما كتب الشيعة أنفسهم لأنهم بطبيعة الحال لن تخرج كتاباتهم عن طريق إنصاف المذهب وإخراجه في أبهى حلله والقول ببطلان ما يخالف اعتقاد الشيعة .**

فالشيعة على مر التاريخ لهم مواقفهم المتشددة ضد الإسلام سواء أكانوا إمامية أو إسماعيلية أو حتى من اكتفى آثارهم من نصيرية أو علوية أو أي مسمى يخرج من تحت عباءتهم .

فغلاة الشيعة اتخذوا آل البيت ستاراً يستترون خلفه ويروجون لآرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم .

وسنحاول من خلال هذه الدراسة كشف وتحليل أبعاد مخططاتهم من خلال آرائهم .

وهذا ما سوف يتضح من الدراسة بمشيئة الله تعالى.

وما يدعوا للغرابة من أمر الشيعة وفرقها المختلفة وكذلك طوائفها تأثيرهم الواضح على الأماكن التي يتواجدون فيها ، فهم

يمـــتلكون القـــدرة علــى تأســيس كــيان مســتقر متكامل الأركان من جميع جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية .

وكـــل ذلـــك يـــتم فـــي سرية تامة ، وقد لاقت حركة الحشاشين اهـــتماماً مـــن بعـــض الباحثيـــن حيث كان التناول يركز على النواحي التاريخـــية غـــير أننـــي سأحاول في هذا البحث إبراز الجوانب الفكرية لهذه الفرقة وموقف الإسلام منها .

و"**الحســن الصـــباح**" باعتـــباره مؤســـس هذه الفرقة بزغ نجمه ونجـــح فـــي تأســـيس فرقـــته من الشباب واجتذب هؤلاء **إلى قلعته ثم** مـــا لبثـــت هـــذه الطائفة أن انتشرت في بقاع كثيرة من أرض الإسلام وقـــد وقـــف مـــنها ســـلاطين دولـــة الســـلاجقة والخوارزمين وملوك طبرســـتان مواقـــف متشـــددة محاوليـــن اقـــتلاع جذورهـــا واســـتمر الصـــراع بيـــن الســـلاطين علـــى مـــر العصـــور التي عاشتها الفرقة وأنصـــار الفـــرقة إلـــى عصـــر صـــلاح الأيوبي الذي حاول القضاء عليهم وقد حاولوا قتله أكثر من مرة إلا أن محاولاتهم قد فشلت .

ولعـــل تناولـــنا للـــنزارية كفـــرقة يجعـــل بحثـــنا هذا ذا طابع تحليلـــي **يعـــرض أولاً أهـــم أفكار الإسماعيلية** وآراءهم **على الإجمال ثـــم يـــبرز أهـــم** آراء **فـــرقة الـــنزارية ـــ وكيفـــية انتشـــارها ـــ واعـــتقادهم ـــ ومواقفهـــم مـــن الحكـــام آنذاك ومحاولاتهم قيام دولة لهـــم بـــل تعـــد ذلـــك إلـــى محاولة السيطرة على العالم الإسلامي** من خـــلال مـــنهج العـــنف لتحقـــيق أغراضـــهم السياســـية واســـتقرارهم كمذهـــب مؤثـــر فـــي تاريخ حركة الفكر الإسلامي وسرعان ما قوض الله مـــن قضـــى علـــى هـــذه الفرقة ، وقد تنتهي الفرقة عسكريا إلا أن

أفكــارهم مازلــت قائمـــة ومـــا زالت لها أنصارها الذين يروجون لها بين الفينة والفينة .

والبحث بعنوان :

(قراءة في فكر النزارية) .

ويتكون من :

تمهيد : ظهور النزارية .

الفصل الأول : علاقة النزارية بالإسماعيلية ونشأتها .

الفصل الثاني : تصدير المذهب النزاري خارج فارس .

الفصل الثالث : نهاية الفرقة .

الفصل الرابع : موقف الإسلام من الفرقة .

الخاتمة .

ثم أهم المصادر والمراجع .

وبالله التوفيق .

التمهيد

ظهور النزارية

التمهيد

ظهور النزارية

تعتبر مرحلة الخلافة الإسلامية بدءا من خلافة سيدنا أبى بكر الصديق إلى مقتل سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه خلافة راشدة أراد أصحابها قيام دولة الإسلام على أساس صحيح قائم على تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى وسنة النبي ﷺ .

فالشيعة : كما جاء التنصيص عليهم في معاجم اللغة وقواميسها : هم الذين تابعوا عليا وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية من النبي واعتقدوا أن الإمامة من بعده في ولديه الحسن والحسين والتسعة أولاد "أولاد الحسين" فانقطعوا إليهم في جميع شئون حياتهم الاعتقادية والعملية[١] .

وإن كان التعلق بآل البيت تعلقاً قائماً على الحب والعشق عندهم . ومن ثم تغير الحال ، "ففي المرحلة المبكرة من تاريخ الشيعة تعرضت نظرياتهم ومعتقداتهم لتغيرات كثيرة .

فقد ظهر عدد كبير من الذين يدعون الانتماء بدرجة أو أخرى لآل البيت أو ممثليهم ثم كانوا يختفون عن الأعين بين المعارضة المعتدلة وبين البدع الدينية المتطرفة التي هي أبعد ما تكون عن التعاليم الإسلامية[٢] .

---

[١] السيد أمير الكاظمي : الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ــ دار الزهراء ــ لبنان ١٩٧٧م، ص١٨ .

[٢] برنارد لويس : الحشاشون : فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ـ تعريب : محمد العزب موسى ــ ط٢ ــ القاهرة ١٩٨٦م .

ومازالت آثارهم باقية حتى الآن وخاصة في منطقة فارس وبعض مناطق بلاد الشام واليمن(١) .

وهذا يكشف خطورتهم وخطرهم الشديد على الإسلام مما دفع بالخلفاء بحث من الفقهاء إلى الانتصار لمذهب أهل السنة في الرد على تلك الفرق المخالفة .

وهذا ما حدث بالفعل من الخليفة المستظهر فيما ذكر "ماكدونالد" من أن كتاب فضائح الباطنية كان للرد على الشيعة بعد ظهور أهدافهم السياسية(٢) .

منهج الفرق الشيعية في الدعوة : ــ

- يقوم على دراسة علم الكلام والاهتمام به حيث يرى د . الشيبي أن دراسة الفلسفة عندهم كانت على يد "رؤساء الشيعة الروحانيين" يعني أنها لم تصل إلى الطائفة كلها فخرج مجالها الكلامي الصرف(٣) فيعتبر أن الشيعة قد اهتموا بعلم الكلام والفقه ثم يفصل بينهم وبين الإسماعيلية باعتبار أن الإسماعيلية كفرقة اتجهت إلى البحث الفلسفي لتعميق أفكارها(٤) .
- من المؤكد أن الإسماعيلية قد تشيعوا إلى طوائف متعددة لكل طائفة آراء وأقوال تخصها في الفروع(٥) .

---

(١) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ص٣٢٦ .

(٢) طه عبد الباقي سرور : الغزالى ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٤٥ ، ص٤٥ .

(٣) د .كامل مصطفي الشيبي : النزعات الصوفية في التشييع ، جــ٢ ، ص٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص٨٥ .

(٥) **د.هاشم معروف الحسيني : الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ــ دار القلم ــ بيروت٧٩**

- استغلال قضية التأويل في إطلاق العنان لأفكارهم وآرائهم ولقد حاولت الفرق أن تستغل قضية التأويل في إبراز مناهجهم وتضليل العوام ، فلجئوا إلى المجاز والإلغاز[1] أي لجئوا إلى التدليس .
- استخدام منهج التقية في التلبيس على الناس وتسهيل انتشار مذهبهم بين الناس .

ولعل أبرز ما يؤكد ذلك **الحسن الصباح النزار** صاحب الفرقة موضوع البحث الذي أثرت الفلسفة في تكوينه مما قوى من قدرته على التأويل ، الذي استخدمه لتفسير آيات القرآن الكريم حسب أهوائه ، وقد أثر ذلك في طائفة من الناس[2] .

أهم ضلالات الفكر الشيعي الاثنى عشري :.

ويظهر ذلك في عقيدة الشيعة الإثنى عشرية على الإجمال وما بها من ضلالات:ــ

- **أهل السنة كفار في معتقد الشيعة الإمامية الإثنى عشرية**

فالسني ناصبي في معتقدهم "أي يقدم **أبا بكر** و**عمر** و**عثمان** على **عليا** " لذا وسموه بالناصب .

---

[1] د . أمين راشد : قضية التكفير في الفكر الإسلامي ــ طبعة دار الهدى مصر ١٩٨٥ ، ص١١١ وما بعدها .

[2] د . أسعد طلس : مصر والشام في الغابر والحاضر ــ طبعة دار المعارف ١٩٤٥ ، ص٦٥ ، ٦٦ .

• **نجاسة أهل السنة عند الرافضة :**

بقـــول مـــرجعهم الأســـبق السيد **محمد كاظم الطباطبائي** الملقب بالســـيد الحكـــم فـــي مصـــنفه العـــروة الوثقـــي "**لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب**" .

• **من لا يقول بإمامة الاثنى عشر كافر :**

وهـــذا قـــول شـــيخهم "**يوســـف البحرانـــي**" في كتابه "**الحدائق الناضـــرة**" : "وليـــت شـــعري أي فـــرق بيـــن مـــا كفر بالله تعالى ورســـوله وبيـــن مـــن كفـــر بالأئمـــة عليهما السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين" .

• **إباحة دماء وأموال أهل السنة :**

وذلـــك بقـــول **محمـــد علـــى بـــن بابوية القمى** في كتابه "**علل الشرائع عن داود بن فُرق**" .

قـــال : قلـــت لأبـــي عـــبد الله عليه السلام ما تقول في قتل الناصبي ؟ قـــال حـــلال الـــدم ولكنـــي أتقي عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغـــرقه فـــي مـــاء لكـــيلا يشهد به عليك فافعل قلت : فما ترى في ماله ؟ قال : توه ما قدرت عليه .

• **جواز اغتياب المخالفين "أهل السنة" :**

بقـــول آيـــتهم **الســـيد عـــبد الحســـين** الـــذي يســـمونه "**شهيد المحـــراب فـــي كـــتابه الذنوب الكبيرة** : "ويجب أن يعلم أن حرمة الغيـــبة مختصـــة بالمؤمـــن أي المعـــتقد بالعقـــائد الحاقـــة ومـــنها

الاعــتقاد بالأئمـــة الاثـــنى عشـــر عليهم السلام وبناء على ذلك فإن غيبة المخالفين ليست حراما" .

- **احترامهم للأئمة الأربعة تقية وهذا مبدأ عندهم :**

روى ثقـــة إســـلامهم **الكلينـــي فـــي الكافـــي** سماعة بن مهران عـــن إمـــامهم المعصـــوم الســـابع **أبى الحسن موسى** عليه السلام فـــي حديـــث "إذ جـــاءكم مـــا تعلمـــون فقولوا به وإذا جاءكم ما لا تعلمـــون فهـــا وأومـــى بيده إلى فيه ثم قال : لعن الله أبا حنيفة كان يقول على عليه السلام وقلت أنا وقالت الصحابة .

- **الإسلام الصحيح عندهم في مخالفة ما عليه عقيدة أهل السنة:**

فـــي قـــول **عـــبد الرحمـــن بن أبى عبد الله** قال : قال الصادق علـــيه الســـلام : إذا ورد علـــيكم حديـــثان مخـــتلفان فاعرضوهما **علـــى كـــتاب الله فمـــا وافـــق** كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله **فـــردوه . وإن لـــم تجـــدوا فـــي كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامـــة** (بقصـــد أهـــل الســـنة) **فما** وافق أخبارهم فذروة وما خالف أخـــبارهم فخـــذوه ويوضـــح ذلـــك صراحة ما ذكره محسن الأمين فـــي كـــتابه أعـــيان الشـــيعة بمـــا نصـــه "الخاصة وهذا ما يطلقه أصحابنا على أنفسنا مقابل العامة الذين يسمون بأهل السنة" .

- **عدم المجاهرة بمذهبهم أو معتقدهم حتى لا يفتضح أمرهم :**
- **التقية عندهم :**

هـــي الســـبيل إلـــى ذلـــك فالتقية عندهم دين فقد روى **محمد بن يعقـــوب الكلينـــي** فـــي **الأصول من الكافي** قال : سألت أبى الحسن

علـيه السـلام عـن القيام للولاة فقال : فقال أبو جعفر عليه السلام : التقـية مـن ديني ودين آبائي ولا إيمـان لمـن لا تقية له . ويـروي فـي الأصـول مـن الكافي عن أبى عبد الله عليه السلام أنـه قـال : يـا أبـا عمـر إن تسـعة أعشار الدين لمن لا تقية له والتقية في كل شئ إلا في النبيذ والمسح على الخفين .

- **القائم يأتي بقرآن جديد :**

وروى شـيخهم **النعماني** فـي **كـتاب الغيبة** عن على عليه السـلام قـال : كأني بـالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمـون الـناس القـرآن كما أنزل قلت أي يا أمير المؤمنين أو لـيس هـو كمـا أنـزل فقـال : لا محى منه سبعون من قـريش بأسـمائهم وأسـماء آبـائهم ومـا ترك أبو لهب إلا إزراء علـى رسـول الله ﷺ لأنـه عمـه . ونقـل شيخهم محمـد بـن محمـد صادق الصدر في تاريخ ما بعد الظهور عـن أبـى عـبد الله علـيه السلام إنه قال "لكأني أنظر إليه بيـن الركـن والمقـام يـبايع الـناس على كتاب جديد على العرب شديد" .

- **لا جهـاد عـند الشـيعة إلا بحضور منتظرهم الغائب فهم يعطلون الجهاد ضد الكفار :**

فـيروى الكليني عـن **أبـى عبد الله** عليه السلام قال "كل راية تـرفع قـبل قـيام القـائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل" .

- **إقرارهم بوجود نص صريح على خلافة على رضي الله عنه :**

رغم أن الإمام على كرم الله وجهه يرى أن الخلافة بالشورى فالذي يرجع إلى كتاب نهج البلاغة يرى "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر الصديق وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعه ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى فاقتلوه على اتباعه سبيل غير سبيل المؤمنين وولاة الله ما تولى" .

- **لعن الصديق والفاروق وسائر الأئمة :**

"فورد عندهم دعاء عندهم يسمونه دعاء صنمي قريش أورده شيخهم **تقي الدين إبراهيم بن على بن الحسن العاملي** والذي يعرف بالكفعمي في **كتاب المصباح** : "اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما ويقر الملأ محمد باقر المجلس في شرح الزيادة الجافعة الكبيرة ومن الجبت أبو بكر ومن الطاغوت عمر والشياطين بنى أمية وبنى العباس وحزبهم واتباعهم والعاصبين لإرثكم من الإمامة والفئ فدك والخمس وغيرها .

- **الشيعة الإثنى عشر أفضل من الأنبياء عليهم السلام :**

وورد ذلك في قول شيخهم السيد أمر محمد الكاظمي القزويني في كتابه الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ، الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء .

- **يعظموا أبو لؤلؤة المجوسي قاتل سيدنا عمر بن الخطاب :**

فــيطلقون علــيه "**بــأبى شــجاع الدين**" فروى **على بن مظاهر** "أن يــوم قــتل عمــر ابــن الخطــاب هو يوم العيد الأكبر ، ويوم المناضــرة ، ويــوم التبجــيل ، ويــوم الــزكاة العظمــى ، ويوم البركة، ويوم التسلية .

- **يؤمنون بعقيدة الرجعة :**

وهــى رجعــة الإمــام وعودته فيروى **السيد المرتضي صاحب كــتاب آمالــي المرتضــى** "أن أبــا بكر وعمر يصلبان يومئذ على شــجرة فــي زمــن المهــدي" إمامهم الذي يسمونه قائم آل محمد ، وتكون تلك الشجرة رطبة قبل الصلب فتصير يابسه بعده .

- **الأئمة يعلمون الغيب وينكرون ذلك على الرسول ﷺ :**

فــيقول شــيخهم **محمــد حسن الأشتياني** أنه قال في كتابه "**بحر الفوائــد**" ، أن الرســول إذا أخــبر عــن الأحكام الشرعية أى مثل نواقــض الوضــوء وأحكــام الحــيض والــنفاس يجــب تصــديقه والعمــل بمــا أخــبر بــه وإذا أخــبر عن الأمور الغيبية مثل خلق الســماوات والحــور والقصــور ، فلا تجب التدين به **بعد** العلم به أي بعــد العلــم بصــحة صدوره عن الرسول "فضلا عن الظن به" . فهــم يــرفعون مرتــبة أئمــتهم فــي الأمــور الغيبية فوق مرتبة الرسول ﷺ" .

- **النجاة من النار لا تكون إلا بولاية آل البيت :**

فهم مجمعون على أن النجاة لا تكون إلا بولاية أهل البيت إلى الإمام الثاني عشر والبراءة من أعدائهم (أي من أبى بكر وعمر ومن ينتمي إلى الإسلام غير الشيعة) .

- **الشريعة عندهم هي الحقيقة أي هي العلم الخاص لا الأحكام التي أتى بها النبي ولا يعلمها إلا أئمة أل البيت .**

- **أجازوا عندهم زواج المتعة أو إيجاره الرحم :**

وهو أن يستأجر الرجل رحم المرأة مقابل مبلغ من المال على أن يتفقا على موعد الدخول والخروج وتحيض المرأة بعد ذلك حيضتين" وإن زاد الرجل عن موعده يعتبر زنا يعزر صاحبه .

- **يوم الإفاضة عند الشيعة :**

وفيه يتفق الرجال والنساء في هذا اليوم وتطفأ المساريج ويقع كل على من يقع وبعدها ينصرف كل إلى حاله ما أبشع هذا الأمر حتى أن امرأة جاءت إلى المتعصم وقالت له إن ابني واقعني فأحرق القرية ومن فيها وكان بها أربعة آلاف . وهذا ما ذكره **الديلمي** في مصنفه "**عقائد آل محمد في الرد على الباطنية**" .

- **يتزوج الرجل ابنته ولا يزوجها لغيره .**

هذه الملامح العامة الفاسدة لاعتقاد الشيعة الاثنى عشرية الذين ما **يبرحون إلا أن يتقولوا على رسول الله** ﷺ وعلى الصحابة الأجلاء **وعلى كل من خالفهم وهذا لكي يتضح للناس مرادهم الخبيث في كل ما يعتقدون ، قاتلهم الله .**

الفصل الأول

علاقة النزارية بالإسماعيلية

علاقة النزاية بالإسماعيلية ونشأتها

قـــام الإســـماعيليون بتأســـيس دول كثـــيرة فكانت لهم دولة في المغـــرب التـــي أسســـها عـــبد الله المهـــدي (٢٩٦هـــ) وكان لهم دولة فـــي اليمـــن أسســـها بن حوشب (٢٧٠هـــ) وكانت لهم دولة في مصر أسســـها جوهـــر الصـــقلي (٣٥٨هـــــ) وأسسوا دولة الموت النزارية فـــي بـــلاد فـــارس وهـــي الدولـــة التي نشأت على يد الحسن الصباح (٤٨٣هـــ) [١] موضع بحثنا هذا .

مراتب الدعوة الأساسية :.

- **إمام وله رتبة الأمر .**
- **باب وله رتبة فضل الخطاب .**
- **حجة وله رتبة الحكم فيما كان حقا وباطلا .**
- **داعي الدعاة وله رتبة تعريف الحدود العلوية .**
- **داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف الميعاد .**
- **النقيب وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرية .**
- **المأذون وله رتبة أخذ العهد والميثاق .**
- **داعي محدود أو محصور وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة.**
- **جـــناح أيمـــن ملحـــق بصـــورة دائمـــة بالداعـــي أم بالنقيب فهو جناحه ويده اليمنى .**

---

[١] د . مصـــطفي غالب : الحركات الباطنية في الإسلام ـــ بيروت طبعة ١٩٨٢ ، ص٦٥ وما بعدها .

- **جـناح أيسر ملحق بصورة دائمة بالداعي النقيب فهو جناحه ويده اليسرى .**
- **مكاسر أو مطالب له حق المجادلة وخاصة بين طبقات العامة .**
- **مستجيب أول رتبة يصل إليها من يؤخذ عليه العهد والميثاق .**

علـــى هـــذه الصـــورة كـــان ترتيـــب الحدود الجسمانية في النظام الإسماعيلي[1] .

فالإمـــام : هو رتبة الدعوة ورئيسها فالطائفة تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وقد ظهرت هذه الطائفة في عصر الدولة العباسية .

ويذكر الإمام الغزالي أن لمقالهم مرتبتين :.

إحداهما :

توجب التضليل والتبديع .

والأخرى :

توجب التكفير[2] .

ثم يجمع الغزالى ألقابهم على اختلاف العصور والأزمنة[3] .

ونـــتوقف مـــع مدلـــول الغـــزالى فـــي أن الاتجاه واحد وهكذا المذهـــب رغـــم اخـــتلاف أســـمائهم وأزمـــانهم فـــالخلاف في أسماء أعلامهم الذين يقومون بالبلاغ ونشر الدعوة **فيقول في ألقابهم :ـــ**

---

(1) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص١٦ وما بعدها .

(2) أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ـــ تحقيق : د . عبد الرحمن بدوي ، ص٤ .

(3) الغزالي : فضائح الباطنية ، ص١٢ .

وهـي عشـرة ألقـاب : "الباطنـية ، والقرامطة ، القرمطية ، والخرمـية ، والخرمدينـية ، والإسـماعيلية ، والسـبعية ، والبابكية ، والمحمرة ، والتعليمية"[1] .

ويوضـح **الغـزالى** أسـباب تلـك الأسماء ، ونتوقف مع ما قاله الغـزالى فـي الإسـماعيلية فهي نسبة إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل بـن جعفـر ويـزعمون أن أدوار الإمامة انتهت به إذا كان هو السابع من محمد ﷺ[2] .

ويـرى **السـيد محسـن الأمين "في مصنفه أعيان الشيعة"** أنه تـم خطامـا فـي قصـر الإسماعيلية على الباطنية فالإسماعيلية منهم باطنـية ومـنهم غـير الباطنـية[3] ويدافع عن الشيعة في أن عقائدهم صـحيحة فـيقول "الشـيعة تـبرأ مـن كـل عقيدة تخرج عن الإسلام فحشر العقائد الباطلة مع عقائد الشيعة ليس بصواب[4] .

ولا نـدري لمـاذا أجمـل اللفـظ ولـم يوضح ماذا كانت هناك فـرق مـن الشـيعة علـى صـواب كالـزيدية مثلا[5] أو فرق ضالة كغـيرها مـن الاثـنى عشـرية ورغـم ذلك يعد عبد القاهر البغدادي الزيدية من الروافض .

---

(1) الغزالي : فضائح الباطنية ، ص١٢ .

(2) المصدر السابق ، ص١٦ .

(3) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ــ بيروت ١٩٦٠ جـ١ ، ص١١٠ .

(4) المصدر السابق ، ص١١٠ .

(5) راجع : د . أحمد محمود صبحي : الزيديه ــ الزهراء بمصر ١٩٨٤م .

فيقول افترقت الروافض بعد على أربعة أصناف : **زيدية وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة . ويعد فرق الروافض خارجة عن الإسلام ويعود ويستثنى الزيدية والإمامية فيعدهم من فرق الأمة**[1].

وهناك من يفرق الإسماعيلية فرقاً فالشهرستاني يرى أن الإسماعيلية تشيعوا إلى طوائف متعددة لكل طائفة آراء ، وأقوال تخصبها في الأصول والفروع ، وبعضها بلغ به الشذوذ إلى الخروج عن الإسلام ومن هؤلاء السبعية[2] .

وتعتبر النزارية أحد الفرق الإسماعيلية المتطرفة التي مرقت من الدين .

نشأة الفرقة النزارية :.

كما سبق وبينا فالإسماعيلية اصل والنزارية فرع "فابن الأثير يؤرخ لهذه الفرقة بدءاً من موت **الخليفة الفاطمي المستنصر** بالله المتوفي ٤٨٧هـ[3] .

"بموت الخليفة المستنصر الفاطمي انقسم الإسماعيليون إلى نزارية ــ ومستعلية .

ولعل إمامة "نزار" ترجع إلى وصية المستنصر بذلك "حيث هو الابن الأكبر للمستنصر" .

---

(١) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص١٨ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ــ تحقيق : محمد سيد كيلاني ، جــ٢ ، ص٣٣٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جــ٨ ، ص٢٠١ .

ويعــد المؤســس الحقيقــي لهــذه الفــرقة الحسن بن الصباح ٤٨٣هـ الذي كون دولة النزارية في فارس[١] .

ولاقت هذه الفرقة نجاحا مذهلا بسبب : ــ

- السرية والكتمان .
- تزكية عقيدة التضحية بالنفس في سبيل المصلحة العامة .

فما بعد الموت من شئ .

وقــد اعــتمد نظــام **الحســن بــن الصباح** على الفدائيين "الذين كــانوا دائمــا علــى اســتعداد لتنفيذ أوامره ، فكان يستخدمهم في قتل أعدائــه ومنافســيه غــدرا ، وكــانوا يضــحون بأنفســهم فــداء لرئيسهم"[٢].

ولابــد مــن وقفــة مــع الأســتاذ عــنان فــيما قال : فتجدر الإشــارة إلــى أن تكويــن تلــك الجمعيات السرية ما كان لخدمة عقيدة ولا لقــيام دولــة تعضــد دولــة الإســلام وإنما هى فرق ضالة مضلة قوضــت أركــان دولــة الإســلام آنــذاك وأزهقت الأرواح بغير حق وأصــلت الحــرام ، وعطلــت الشرع برمته فالإسلام براء منهم فكان مــن الأولــى أن لا تســتخدم عــبارات المدح والاطراء فثم عبارة مثل هــذه تدفــع بالقــارئ إلــى الهاوية فلابد من وضع الأمور في نصابها بــأن نشــير إلــى هــذه الجمعيات وغيرها مما نراه على الساحة نظرة موضوعية .

---

[١] د . فتحي محمد الزغبي : غلاة الشيعة ــ طبعة طنطاوي بمصر ١٩٨٨ .

[٢] د . مصطفي غالب : الحركات الباطنية في الإسلام ، ص٦٩ .

وكــان ملــك شــاه قــد أرســل إلــى ابن الصباح "يدعوه إلى الطاعــة ، ويهــدده أن خالفــه ، ويؤمــره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلمــاء والأمــراء ، فقــال فــي جــواب الرســالة والرسول حاضر الجــواب مــا تــراه ، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه : أريد أن أنفذكم إلــى مولاكــم فــي حاجــة فمن ينهض لها ؟ فأشرأب كل منهم لذلك ، فظــن رســول الســلطان إنهــا رســالة يحملهــا إياهم قاموا إلى شاب مــنهم فقــال لــه : أقــتل نفســك فجذب سكينا ، وضرب بها غلصمته فخــر ميــتا ، وقــال لآخــر أرم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق ، ثــم التفــت إلــى رســول الســلطان فقال : أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفا هذا حدهم في طاعتهم لي وهذا هو الجواب[1] .

ولعــل الأستاذ محمد عبد الله عنان : في كتابه الجمعيات السرية عــندما يقول : "أن جماعة الحسن بن الصباح أعظم جمعية سرية ثورية عرفها الإسلام تلك التي لبثت ذهاء قرناً ونصف ترعب الدول الإسلامية من فارس إلى الشام وحثت جموع البسطاء والدهماء باسم الدين وتحقيق أغــراض سياســية واعتمدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم وهم شعبة من غلاة الشيعة استخرجت مبادئها من القرامطة فهى بذلــك طــور من أطوار الدعوة الثورية الهادفة التي نظمها ابن ميمون ونتمة لها"[2].

---

[1] د . طــه شــرف : دولــة الــنزارية أجداد أغاخان ــ الطبعة الأولى ١٩٥٠ النهضة المصرية العامة ، ص٢٢١ .

[2] تلبيس أبليس ــ ص١١١ .

ألقاب الفرقة وأسمائها :.

استطاع الحسن الصباح أن يؤسس دولة عرفت في التاريخ بأسماء متعددة مثل : (**الإسماعيلية — النزارية — التعليمية — الملاحدة**) وعرفت باسم السفاكين .

وقطع الحسن علاقته بأئمة الإسماعيلية الغربية (المستعلية) وأرسل الفدائيين لاغتيالهم كما كان يغتال جميع أعدائه حتى ضج الناس من كثرة قتلاه وخاف كل واحد على حياته[١] .

ويذكرهم **ابن الجوزى** في بيان سبب انتشار مذهبهم في الطاعة العمياء التي كان يؤديها الاتباع[٢] .

وقد انقسمت الفرقة النزارية إلى فرقتين :

الأولى : ما تعرف بالنزارية أو الاغاخانية — كما تسمى الآن — **والفرقة الثانية** : تعرف بالمستعلية المعروفة الآن بطائفة "البهرة في الهند" أو "الطيبة في اليمن" ويرى ابن كثير سبب ذلك في تأييد رئيس الوزراء "الأفضل" للابن الأصغر المستنصر بالله "أحمد المستعلي" على أخيه نزار لشئ في نفس الوزير "عندما نهره نزار وهو يركب فرسه في دهليز قصر الخلافة ما قل لا أدبك فحقدها ، فخشى أن يكون خليفة بعد موت أبيه فيقضى عليه . فسعى لخلعه خوفا منه وبايع أخاه المستعلي[٣] .

---

(١) راجع كتاب عبد الله عدنان : الجمعيات السرية .

(٢) غلاة الشيعة ، ص٢٣٢ .

(٣) راجع : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص٢٣٩ وما بعدها .

ولـم يـتوقف رئـيس الـوزراء (الأفضــل) عند هذا الحد بل سـعى فـي قـتل الإمــام نزار بعد أن انتقل إلى الإسكندرية على رأس جـيش وحاصــرها وقــيل أنــه (قــبض علــى الإمــام نــزار فسلمه للمســتعلي الــذي أمــر أن يبــنى علــيه حائطا فمات وثمت الروايات الأخرى ترى أن الأمير نزار قتل في القاهرة سنة ٤٨٨هـ)[١] .

وأدى ذلــك علــى اعــتقاد الــناس بــأن الإمام نزار هو الإمام الحــق وأن المســتعلي اغتصــب مــنه العــرش للإمام وقد أيد الحسن الصــباح الدعــوة الــنزارية وأســس دولــته في فارس وهناك أسباب أخرى ساعدت على نجاح الحسن الصباح في نشر مذهبه :

- **اضــطهاد الســلاجقة للأتــراك واضــطهاد طائفــة الشــيعة الإســماعيلية** ممــا ســهل نشر فكرة الإمام العادل الذي يرفع الظلم ويمــلأ الدنــيا عــدلا وقــد استغل الحسن الصباح احتياج الناس له فــروج لهــذه الفكــرة وبشــرهم بقــرب تحقيق الحكم فالتف حوله الناس.

- **إلغــاء الــب ارســلان ديــوان الــبريد** وكان صاحب ديوان البريد يراقــب العمــال ويســتطلع أخــبار الأعداء[٢] وأدى ذلك إلى تعذر استقصــاء أخــبار الإســماعيلية مما سهل نجاحهم في نشر مذهبهم وقــد تركــز أصــحاب المذهب في جبال الديلم[٣] وخاصة الهاربين

---

[١] نفس المصدر السابق ، ص٢٤٣ .

[٢] د . محمــد إدريــس : تاريخ العراق في المشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي ــ طبعة القاهرة ١٩٨٥ ، ص١٥٠ .

[٣]عبد الرحمن الجبرتي :مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ــ القاهرة ١٩٦١ ، ص٦٣ .

مــن الاضــطهاد العباســي وقــد نجحوا في فرض سيطرتهم على معظــم بــلاد فــارس والعراق وكذلك الرى مركزا للنشاط بالنسبة للدعــاة الإســماعيلية مــنذ القــرن التاســع كما كان عبد الملك بن عطاش كبيرا للدعاة الإسماعيلية في غرب فارس والعراق[١] .

وقــد تــتلمذ الحســن الصــباح على يد عبد الملك بن عطاش الذي كان حجة في المذهب [٢] .

وهــناك مــن يــرى أن الحســن الصباح والشاعر عمر الخيام كانــا تلمــذان لأســتاذ واحــد وقــد أنهى الصباح دراسته المذهبية في دار الحكمــة بمصــر ومــن هــنا نقول أن الشيعة الإسماعيلية حاولوا بســط نفوذهــم علــى كــل الــبلدان الإسلامية في محاولة منه لابتلاع العالم الإسلامي .

ويذكــر **أحمــد أميــن فــي كتابه ظهر الإسلام** : "إن الفاطميون قــد انشــئوا خزائــن الكتــب وشــجعوا نقلهــا والعــناية بها وأوقفوا الأوقــاف علــى استنســاخها حــتى كانت دار الحكمة تموج بالناسخين والمطالعيــن"[٣] ويــرى **د . أحمــد عبد القادر** أن سبب الغلو وتطرف هــذه الحــركات التــباعد المســتمر عــن أصول الدين والانغماس في أمــور السياســة لتحقــيق أغراضــهم وأن أغلب **الأفكار** التي روجت لها هذه الفرق أتت من الفرس[٤] .

---

[١] د . محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص٦٣ .

[٢] بطروشوفكى الإسلام في إيران ــ القاهرة ١٩٨٢ ــ ترجمة : د . السباعي ، ص٢٦.

[٣] د . أحمد أمين : ظهر الإسلام ــ طبعة القاهرة جــ٤ ، ط٣ .

[٤] د . أحمد عبد القاهر : حركات الغلى والتطرف الإسلامي ، ص٦٥ وما بعدها .

ولعل وقوف رجال مصر الذين يحافظون على السنة والمدافعين عنها ضد البدع الفاطمية[1] هو الذي دفع الحسن الصباح إلى تأسيس دولة في فارس ينتقل إليها المستنصر بالله ويتخذها مركزا للدعوة الإسماعيلية بدلا من مصر ومن هنا فشلت الدعوة النزارية في تثبيت أركانها في مصر وازدهرت في فارس وقد قتل ابن الصباح نظام الملك حينما حاول حصار قلعته والقضاء عليه ، ولم يكتف الصباح بذلك بل وسع رقعة دولته وساعده على ذلك موت السلطان ملك شاه عدو الإسماعيلية اللدود ونجح ابن الصباح في تكوين كيان الإسماعيلية في فارس وأراد أن يدعو المستنصر[2] ليتولى أمور الحكم هناك ولكن وافاته المنية وبالتالي اعتبر ابن الصباح الأمر في الدعوة الإسماعيلية الجديدة[3] .

أهم سمات الدعوة النزارية :

- استطاع الحسن الصباح أن يستغل الدعوة النزارية خير استغلال فكون فرقة إسماعيلية خالصة في وسط دولة العباسيين السنيين .
- كان حسن الطوية في اختيار الأماكن الحصينة (القلاع) التي يتحصن بها اتباعه (الفدائيين) فأصبح له مئات القلاع والحصون القوية .

---

[1] د . أسعد طلس : مصر والشام والحاضر ــ طبعة دار المعارف ١٩٤٥ .
[2] محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية في إيران ، ص١٠٩ .
[3] راجع الملل والنحل للشهرستاني ــ جـ١ ، ص .

- استغل مبدأ أن التعاليم تأتي عن طريق الإمام المعصوم مما جعل الناس تعتقد في قدسية الأمر ولا تناقش فيه وعليهم اتباع أوامر الإمام المعصوم وهذا ما نماه الحسن ابن الصباح في (الفدائيين) اتباعه .

ويرى د . **حسن إبراهيم** أن الحسن الصباح استغل عقيدة الإمام المعصوم ليحمل الناس على طاعته وطاعة نائبه باعتباره شرطا أساسيا للدين الحق[1] .

وقد قسم الحسن طرق الدعوة الجديدة إلى درجات سبع :

- **التفرس :**

ويقصد به إدراك مكنونات النفس ويطلق على ذلك الاستيطان ليتبينوا قوة إرادة الفرد ومبلغ سهولة انقياده.

- **التأنيس :**

وهو من الأنس وهو بعث الأمن والطمأنينه في نفوس المدعويين وإشباع ميولهم واعطائهم كل ما يميلون إليه كل حسب ميوله .

- **التشكيك :**

وهو زعزعة عقيدة المدعويين ويعتبر خطوة جريئة من أخطر الخطوات يستطيع بها الداعي أن يصل إلى قلب المريد فيزعزع عقيدته ويزلزل إيمانه .

---

[1] د . حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ـ طبعة القاهرة ١٩٨١ ـ المطبعة الأميرية، ص٥٤ .

• **التعليق :**

وهـو تـرك المـريد بعـد تشـككه متأرجحا في عقيدته مشوقاً إلـى معـرفة المذهـب الإسـماعيلي حـتى تستبين نفسيته وتعرف شخصيته .

• **التدليس :**

وهـو أن يلجـأ الداعـي إلـى الـتمويه ويدعى ادعاءات كاذبة تـزيد فـي إغـراء المـريد وتشويقه والهاب رغبته في الدخول في الدعوة .

• **التأسيس :**

وهـو تثبيـت المعلومـات والحقـائق التـي أدلـى بها الداعي والمستجيب حتى تستقر في ذهنه ويقبل عليها ويؤمن عليها .

• **الخلع والسلخ :**

ومعـنى الخلـع اقصـاء المدعويين عن حظيرة المذاهب السنية إن لـم يكـن عـن حظيرة الإسلام نفسه بإسقاط التكاليف الشرعية عـنهم وقـال الإمـام الغـزالي الخلـع الاعتقادات جميعها وتسمى هذه الدرجة البلاغ الأكبر[1] .

وممـا لاشـك فـيه أن اسـتغلال الحسن الصباح لحالة السخط والقلـق التـي كانـت تعـم الناس في ذلك الوقت وكذلك توفر التراث الخصـب الموالـي للشـيعة عامـة والإسـماعيلية خاصـة وذلك فيما ذكـره بـرنارد لويـس فـي كـتابه الحشاشـون : "وقـد كان الحسن

[1] د . فتحي محمد الزغبي : غلاة الشيعة ــ ط١ ١٩٨٨م .

الصـباح يكـون فـي القـلاع التـي يعـيش فـيها أصحابه مجتمعات مـتكاملة تعـتمد علـى الاكتفاء الذاتي اقتصاديا وعلى التوافق الفكري والعقائدي الذي يتيح له ضمان استمرار ولاء اتباعه له" .

المحافظـة علـى اتـباعه وهـذا يبرز مدى دقة تخطيط الرجل فهـو صـاحب رؤيـة عسـكرية صائبة واستراتيجية عالية في اختيار أماكـن نشـر المذهـب وكيفـية تأمينها مما يجعل دائما له ولأصحابه القـدرة علـى المـبادرة والمباغـتة للخصـم وكذلك يصعب السيطرة علـى تلـك الأماكـن المغيريـن علـيها وقد كان لأصحابه فنون شتى فـي الاغتـيال والقـتال فقـد تفـردوا بذلك مما جعل الملوك يخشون بأسهم .

الدعوة النزارية :

تنقسم الدعوة إلى قسمين :

قسم خاص بالشيوخ (الدعاة) ، وقسم خاص بالفدائيين .

القسـم الأول : شـيخ مرتـبة داعـي الدعاة وله ثلاث نواب كنائب له عدد من الدعاة الذين يروجون للعقيدة الإسماعيلية .

القسم الثاني : خاص بالفدائيين وهم على درجات ثلاث :

أ ــ رؤساء الفرق وهم مدربوا الفدائييسن (الرفاق) .

ب ــ المجندون وهم المنفذون لأوامر الشيخ .

جـ - مرتبة المستجيبين وهم الصغار تحت التدريب والتعليم وكانوا من الشباب صغيري السن والكل يتبع الشيخ[1] .

أعضاء الدرجات السفلي :.

وهم المطلعين على الأحكام ويلزم عليهم طاعة أصحاب الدرجات العليا طاعة عمياء ويظهر هنا تدرج الأعضاء كل حسب دوره .

الداعي :

وداعي الدعاة الأكبر وهم يعدون الرؤساء المختارين لتلك الفرقة ، ولم تكن لهم الأوامر والتكاليف الظاهرية وكذلك الحقوق والمبادئ الأخلاقية لم يكن الأمر إجباريا عليه ولم يكن ممكناً لأحد من هذه الفرقة الوصول إلى مقام الإمام حيث أن هذا المقام لم يبلغه إلا علي كرم الله وجهه ونزار ونتوقف عند مرحلة الترقي تلك حيث أن مرحلة الترقي مرحلة مخصوصة للدرجات العلي أما الدرجات الدنيا (الفلاحين - وأصحاب الحرف) غالبا ما يكونوا غير واقعين على التعليم الباطنية بالفرقة .

أما الفدائيون :

هم بمثابة الجناح العسكري للفرقة وينقسموا إلى طائفة الاغتيالات .

---

[1] د . مصطفي غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص١٦ وما بعدها .

طائفة الجواسيس والعيون :

وكانوا ذا تدريب عال من قبل مدربيهم وكان الفدائيون النزارية يقتلون تنفيذا لأوامر رؤسائهم رجال السياسة وأعداء النزارية النشطين من مخالفتهم .

وكان اختيار هؤلاء يقوم على تطبيق سياسة الشئ ونقيضه بمعنى أن يكون اختيار هؤلاء الطائفة اختيارهم من طائفة الحرفيين والفلاحين وهي طائفة مطحونة في خدمة الملوك والأغنياء ، وهذه الطائفة وما تحمل من حقد وكراهية لهؤلاء الملوك توجه بعد ذلك لقتل هؤلاء فيصبح هذا العمل منطقيا شفاءً للغليل والتخلص من هؤلاء انتظارا لتحقيق الحلم النزاري الذي عد به النزاري اتباعه .

تجدر الإشارة إلى أنه على مر العصور يستغل الساسة تلك الأمور في استعداء طائفة على أخرى واستعلاء طائفة على أخرى مما يوجد الصراع داخل المجتمعات ولعل هذا الصراع دائما يفجر الطاقات الدموية التي ما تلبث أن تستغل الفرص في سفك الدماء تحت دعوى أي فكر ، فليس لهم لواء يدينون له إلا ما يعتقدوا به ولعل ذلك يعيدنا إلى تلك الشخصية العجيبة التركيب العقلي شخصية أبا الحسن الصباح فقد صنع دولة وأقام كيانا على مجموعة مبادئ ما أنزل الله بها من سلطان ولكن قدراته الخارقة التي جعلته يرسخ تلك المفاهيم لا عند طائفة قليلة ولكن لقد أسس دول وقوض ممالك .

الفصل الثاني

تصدير المذهب النزاري

خارج فارس

مرحلة تصدير المذهب النزاري خارج فارس

فقد عرفت بلاد الشام المذهب على إثر فرار الحسن الصباح من مصر ، فقد أقام في مدينة حلب حيث دعا إلى المذهب الإسماعيلي وأخذت الآراء والعقائد تقوى وتنشر في بلاد الشام كلما واتت الإسماعيلية فرصة لذلك أو كانت تضعف أمام قوة الأمراء والحكام خاصة أيام سلاجقة العراق والشام[١] .

وبعد ذلك قامت جماعة من اتباع الصباح إلى سوريا وكان غرضهم نقل الدعوة الجديدة إلى الإسماعيليين القدامى في تلك البلاد ولكن محاولاتهم جانبها التوفيق نظرا لأن دعاة الإسماعيلية في سوريا كانوا فرسا يعملون في وسط غريب عنهم[٢] .

[١] سنان شيخ الجبل[٣] :

حاول نشر المذهب في سوريا وكان له مقدرة عجيبة وكفاية في أن يجمع إسماعيلية الشام حوله وأن يجعل منهم قوة يتحدي بهم نفوذ السلطان مثلما فعل الحسن بن الصباح في فارس.

---

(١) د . محمد حسين كامل : طائفة الإسماعيلية .

(٢) برنارد لويس : الحشاشون ، ص١٢٦ .

(٣) هو سنان بن لسمان بن محمد ، ويكني بـ (أبى الحسن) وراشد الدين نشأ في البصرة وكان أبوه أحد بدلائها ودخل الدعوة وسار إلى الموت ، وكان حاكمها ، وتتلمذ مع أبناءه حسن وحسين وظل إلى أن توفي وخلفه أبنه حسن فأمره بالذهاب إلى سوريا سنة ١١٦٤ حيث نشر تعاليم المذهب .

بل كون لنفسه مذهبا جديدا دعا إليه وهو ما يعرف بالمذهب السناني الذي اعترف فيه أصحابه بإمامته غير أن الأمور ما لبثت أن تبدلت بموته[1] .

[٢] راشد الدين :

عاد ونشر تعاليم الحسن ودعم مواقفه ببناء القلاع والحصون وهذا ما يؤكده المؤرخ السوري كمال الدين : إنه بنى قلاعا في سوريا للفرقة وقد كان بعضها جديدا والبعض الآخر منها قديم حصل عليها بالخديعة ثم حصنها وجعلها منيعة وغفل عنه الزمان ولم يهتم الملوك بمهاجمته خوفا من اغتيالهم[2].

ولعل حكمه لسوريا استمر ثلاثين عاما غير أنهم خلصوا من عقيدة الموت وانتهجوا منهجا مستقلا لا يخرج عن : "تعاليم سنان باعتباره الزعيم المقدس الأعلى[3] .

فتعتبر هنا أن الاتجاه السناني قد حاول أن ينتهج نهجا مغايرا قليلا عن نهج بن الصباح إلا أن هناك مواقف لتلك الطائفة تجعلنا نسلك الأمر وخاصة موقفهم من صلاح الدين الأيوبي .

محاولة السنانية قتل صلاح الدين الأيوبي :.

وحدث ذلك بعد ما نجح صلاح الدين الأيوبي في تقويض الدولة الفاطمية فأرسل عمارة اليمني إلى سنان لكي يقتل صلاح

(١) برنارد لويس : الحشاشون ، ص١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية .

(٣) د . مصطفي غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية .

الديـــن الأيوبـــي وهـــنا يظهـــر الوجـــه القبـــيح للـــنزارية حيث إنهم يـــتحالفون مـــع الأفـــرنج الصـــليبيين ضـــد المســـلمين لأنهم يرون أن هؤلاء يحاربون أهل السنة نيابة عنهم .

فـبعد أن مـــن الله علـــى صـــلاح الديـــن بفـــتح حمص وحماة دبـــروا له المكـــيدة لاغتـــياله عـــن طـــريق فرقة مرسلة ممن يعرف عـــندهم بالفدائييـــن غـــير أنه لسؤ حظهم وجد في عسكر صلاح الدين الأيوبـــي مـــن تعـــرف علـــيهم وهو الأمير : ناصح الدين خمار تكين صـــاحب قلعـــة يوفبـــيس الـــذي تعـــرف علـــيهم وتعرض لهم فقتلوه واثخنوا جراحه .

غـــير أن أحدهـــم حـــاول قـــتل صـــلاح الدين فقتله أحد رجال صـــلاح الديـــن "طعـــزيل أمـــير جاندرا"[1] ٥٧٠هـــ وعاودوا المحاولة مرة أخرى سنة ٥٧١هـــ .

ففـــي أثـــناء تفقـــد صـــلاح الديـــن لخـــيمة الأمير جاولي الأسد لمشـــاهدة الآلات وترتيـــب المهمـــات وحـــث الـــرجال على القتال قفز إلـــيه رجـــل بســـكين محـــاولا قـــتله ولكن الله قد أنجاه وكان القائمين علـــى المؤامـــرة أربعـــة[2] وتـــناول الشيعة قصص خرافية في محاولة لإبـــراز مواقفهـــم مـــن صـــلاح الدين ومن أنه استكان لهم ورضى في مقـــابل الســـلامة . وواقـــع الأمر أن صلاح الدين كان بإمكانه القضاء علـــيهم ولـــم يفعـــل ؛ لأنـــه كان بين نارين حرب الصليبيين أو حربهم

---

(1) ابن الأثير : الكامل ــ جـــ١١ ، ص٤٣٦ .

(2) ابن الأثير : الكامل ــ جـــ٩ ، ص١٣٢ .

فآثـــر الحكمـــة مـــن أجل القضاء على العدو الأكبر لأنه لو استمر في قتال الإسماعيلية لاستغل ذلك الصليبيين وفتكوا به .

محاولة نشر المذهب في الدولة السلجوقية :.

اجتمعـــت الطائفـــة مـــن كـــل صـــنف وجنس[١] على مناهضة الدولة السلجوقية لتقويض ملكها والتمكين لهم .

* وقـــد حـــاول نظـــام الملـــك التصـــدي لهم عن طريق إنشاء النظامـــيات لـــتخريج دعـــاة يســـتطيعون الدفـــاع عن عقيدة أهل السنة ويقارعون الإسماعيلية الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان[٢] .

* إعـــادة نظـــام الملك ديوان البريد لكي يتوخى أخبارهم غير أن الحســـن الصباح ضاق زرعا بحصار نظام الملك له ولقلعته فأرسل من قتله من فدائييه عندما أحس أن نظام الملك بصدد القضاء عليهم .

جهود الدولة السلجوقية في القضاء على النزارية :.

بمـــوت الحســـن الصـــباح ٥١٨هـــ أتيحت الفرصة لانتقام السلاجقة من الفرقة :

- فحدثـــت إبـــادة لهـــم بنيســـابور ٤٩٥هــــ فـــي عهـــد الســـلطان بركيارون .
- جهـــود الســـلطان محمـــد الســـلجوقي ســـنة ٥٠٠هـــ بمحاصرتهم وتخريب من حولهم ولكن المنية وافته .

---

[١] د . محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامي ، ص١٥١ .

[٢] نظام الملك الطوس : سياسة نامة ـــ القاهرة ـــ ترجمة وتعليق : سيد محمد ، ص٢٥.

- قتل سبعة آلف إسماعيلي في حلب ٥٠٧هـ[١] .

وحاول الإسماعيلية توجيه ضربات إلى السلاجقة ولكن كانت المعارك سجال بينهم .

محاولة نشر المذهب في مصر :-

- واجه المذهب في مصر لطمة شديدة بموت الخليفة المستنصر كما أوردنا ورفض نزارية فارس الاعتراف بالمستعلي إماما واعتبروا أن خليفة المستنصر أبنه الأكبر نزار .
- كان دور الحسن الصباح في مصر ثانويا لأنه كان بمثابة عميل لرؤساء الفرقة في مصر .
- ظهور العداء التقليدي بين قيادات الانتماء الواحد أو العقيدة الواحدة .

وفي عام ١١٢١هـ اغتيل الوزير الأفضل في القاهرة وحاول النزارية عام ١١٢٢هـ عقد اجتماع لتصفية النزاع بين النزارية والمستعلية غير إنها المكيدة من أجل قتل الوزير والخليفة ولكنها باءت بالفشل وشددت الرقابة في مصر واعتقل الكثير من الإسماعيلية وشتت الله شملهم في مصر بأن قوض ملكهم "صلاح الدين بن يوسف أيوب أركانها"[٢] .

---

[١] بطروشوفكي : الإسلام في إيران ، ص٢٦٧ .

[٢] د . محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص١٠١ ، ١٠٢ .

مواقف النزاريين من الصليبيين :.

وقد أشرنا في محاولة اغتيال صلاح الدين إلى أنه ثمة تحالف بين الإسماعيليين والصليبيين وهذا ما أورده حامد زيدان في الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية في زمن الحروب الصليبية "لم يتورع رجال الإسماعيلية من التحالف مع الصليبيين ضد بقية الزعماء المسلمين وقد رحب الصليبيين بهذا التحالف وذلك لاحتياجهم لأفراد يعرفون أسرار البلاد ومسالكها وكثيرا ما اتخذ الصليبيين الفداوية "الفدائيين الإسماعيلية" في تنفيذ مخططاتهم"(١) .

بين النزارية والعباسين :.

كانت العلاقة عدائية لأنها علاقة بين مذهب أهل السنة وبين الكفر "التيار الشيعي المتطرف" فقد قام الإسماعيليون باغتيال اثنين من الخلفاء العباسيين .

وقد ظهر من الإسماعيلية "جلال الدين حسن" أحد خلفاء حسن الصباح فأحرق كتبه وعاد إلى المذهب السني وكانت تلك الفترة مرحلة هدوء حيث نال رضا الخليفة العباسي وأطلق عليه اسم جلال الدين المسلم الجديد . وبوفاته اشتعلت حلبة الصراع من جديد .

---

(١) حامد زيدان غانم : الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسماعيلية زمن الحروب الصليبية ـ القاهرة ١٩٨٣ ، ص٨٧ .

الفصل الثالث

نهاية الفرقة

- خلفاء حسن الصباح .
- هولاكو والإسماعيلية .
- نهاية إسماعيلية الشام .
- رد فعل الخلافة العباسية .

علــى اعتــناق قواعــد الديــن واتباع التعاليم للشريعة وأرسل مبعوثين إلــى الخلــيفة فــي بغــداد ومحمد خوارزم شاه والملوك والأمراء في العــراق ، ولمــا مهــد لذلــك أثناء حياة أبيه بإعلانه موقفه لهم جميعا فقــد صــدقوا كلمــته خاصــة فــي بغــداد حيث صدر مرسوم يؤكد اعتــناقه الإســلام وعومــل بكــل تقديــر واحــترام وخوطــب فــي المراســلات بألقــاب الشــرف وأصبح يعرف باسم جلال الدين المسلم الجديــد وأصــبح ابــتاعه يعــرفون في عصره باسم المسلمون الجدد . ونــال تأيــيد الخلــيفة العباســي عــندما قــام بإحــراق كتــب أئمــة الإســماعيلية مــن أجــداد وأســلاف جــلال الديــن كدليل على حسن نوايــاه ، واســتطاع أن يحــتفظ بمحالفاته الإسلامية وعقد أوامر وثيقة مــع حكــام غــيران واذربــيجان وتــبادل معهــم الهدايــا ومخــتلف المساعدات .

وكــان عهد الإمام جلال الدين من العهود الذهبية التي مرت على الإســماعيلية حيث احتلت مكانها اللائق بين الأمم بالبطولات والتضحية والعلوم فاتسعت رقعة البلاد التي يقطنها الإسماعيلية(١).

وقــد تفجــرت الصــراعات الداخلية بصورة حادة داخل الفرقة فــي عهــده وســقوه السـم ٦١٧هـــ وأحييت تعاليم الإسماعيلية من جديــد بعــد موتــه وتولــية محمد الثالث ابنه وخليفته السلطة من بعده كسلطان وليس كحاكم وأغلق باب قصره على نفسه(٢) .

(١)مصطفي غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص٢٦٤ : ٢٦٥ .

(٢)بطروشوفكي : الإسلام في إيران ، ص٢٧٣ .

وكان أول عمل قام به أن أمر بتأسيس مكتبة إسماعيلية ضخمة أحضر لها المؤلفات القيمة من مختلف الأقاليم وانفق على تأسيسها ووجه عنايته الخاصة لدور العلم فأوجد المدارس في القلاع الإسماعيلية وعين لها مدرسين أكفاء وخصص يومين من كل أسبوع لإلقاء المحاضرات والمناظرات العلمية من قبل أساتذة وطلاب تلك المدارس وأجذل العطاء للمتفوقين .

وبذلك ازدهرت العلوم الإسماعيلية ومن الطلاب النجباء الذين اظهروا نبوغا عظيما الداعي الإسماعيلي الفيلسوف (نصير الدين الطوسي) والشاعر الفيلسوف شمس الدين الطيبي حجة الإمام وداعي دعاته ، وداعي دعاة الشام الفيلسوف الصوفي محيى الدين العربي والشاعر الصوفي (ابن الفارض) .

ومن جهة ثانية انتاب الإسماعيلية نكبات عديدة وشنت عليهم غارات كثيرة من قبل السلاطين السلاجقة والتتر ، ففي عام ٦٣٢هـ أغار أرخان على بعض الحصون الإسماعيلية ففي نيسابور فاحتلها بعد أن قتل ونهب وأحرق كل شئ[١] .

وكان رؤساء أشراف الفرقة يودون التمسك بالقلاع والأراضي على استعداد للخضوع للمغول ولكن أفراد الفرقة من العامة أرادوا مجاهدة المغول وقد قتل محمد الثالث وهو في حالة من السكر[٢] .

---

[١] مصطفي غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص٢٦٧ .

[٢] السيد الباز العريني : المغول ــ القاهرة ١٩٨٦ ، ص٢١٠ .

ولاشك أن المغول وقفوا على أحوال الإسماعيلية وكراهية الناس لهم حينما أوفدوا رسلهم إلى (قراقورم) أثناء اختيار (كيوك خانا) لم يلقوا معاملة طيبة ورفع المسلمون في قزوين – الخاضعة لحكم المغول – الشكوى إلى (مونكو خان) لما يتعرضوا له من الأذى والضرر من قبل الإسماعيلية وأشاروا إلى أفراد هذه الطبقة بأنهم يخالفون في عقيدتهم ديانات المسيحيين والمسلمين والمغول وبالإضافة إلى ملاقاة المغول من الأذى خاصة وأنهم اغتالوا جغتاى ثاني أبناء جنكيز خان [1] .

حاول ركن الدين خورشاه الذي يعتبر آخر مقدمي الإسماعيلية أن يتجنب الخطر المغولي بما لجأ إليه من أساليب دبلوماسية وقد اعتصم في قلعة ميمون دبز المنيعة ولم يسع هولاكو آخر الأمر إلا أن يبعث إليه برسالة يطلب منه التخلي عن المقاومة وأن اليأس تطرق إلى نفوس رجاله المحاصرين ، توجه إلى هولاكو وأعلن طاعته وإذعانه في نوفمبر ١٢٥٦ واستسلمت قلعة الموت في ديسمبر ١٢٥٦م ، وإذا كفل هولاكو لركن الدين الإبقاء على حياته أراد ركن الدين أن يتوجه إلى مونكو لعله يحصل على ما يأمل من شروط حسنة ، غير أنه حينما وصل إلى مقر الخان صحبه جماعة من المغول ، رفض أن يستقبله وقال : ما كان لكم أن ترهقوا الجياد في سفارة غير مجدية[2] .

---

[1] ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية – بيروت ١٩٦٩ – جـ٣ ، ص٥١٦ .

[2] السيد الباز : المغول ، ص٢١١ – ٢١٢ .

وإذ بقــى مــن قــلاع الإســماعيلية اثنــتان لــن تستلما للمغول تقــرر الاســتعانة بركــن الديــن خورشــاه في تدبير أمر إذعانها وفي أثــناء عودتــه لقــى مصــرعه مع جميع رفاقه وصدرت الأوامر إلى هولاكــو بالــتخلص نهائــيا مــن هذا المذهب فتم الإجهاز على طائفة كبــيرة مــن أقــارب خورشــاه بيــنما تقــرر حشــد عــدد كبير من الإســماعيلية بــناء علــى طلــب المغــول لإحصــاء عددهم فتعرض هــؤلاء الألــوف للقــتل ولم يبق على قيد الحياة إلا من اعتصم بجبال فارس .

وقــد احــتفظ الإســماعيلية مــن الموت بمكتبة ضخمة زخرت بكتــب فــي علــوم الفلســفة والتنجــيم فأرسل هولاكو صاحبه المسلم عطــا الملــك الجوينــي ليفحصها فأخرج منها ما صدفه من مصاحف القــرآن وســائر الكتــب ذات القــيمة التاريخــية والعلمية وأمر بحرق جميع الكتب الملاحدة .

وقــد أدت هــزيمة الإســماعيلية الــنزارية وسقوطها في فارس إلــى ازديــاد نفــوذ فــرقة أخــرى مــن الشيعة وهى الشيعة الإمامية والاثنى العشرية ، بين الناس هناك .

خلفاء حسن الصباح

في ظل هذه الفرقة التي أسسها الحسن بن الصباح عاش أئمة الإسماعيلية من نسل نزار بن المستنصر غير أن هؤلاء الأئمة كانوا في ستر تام فلم يعرف أحد عنهم شيئا وكان الذين يحكمون طائفة الإسماعيلية من الموت يقولون عن أنفسهم أنهم دعة الإمام[1] .

وتحول رؤساء النزارية بعد الاستيلاء على مناطق شاسعة من الأراضي إلى طبقة من الإقطاعيين وظهر بين النزارية منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري فرقتان كانت إحداهما ممثلة لطبقة أشراف الفرقة ، الثانية ممثلة للطبقات الدنيا منها[2] .

وقد اجتهد الحسن بن كيابذرك الذي حكم من ٥٥٨ : ٥٦٢هـ ثالث من تولى زمام الأمور بعد الحسن الثاني عام ٥٦٠هـ أنه نصب نفسه خلفا لعلي وفاطمة ومحمد بن إسماعيل والمستنصر نزار ولذا أدعى لنفسه العصمة وأعلن بداية عصر جديد أى نهاية الدنيا وإعلان القيامة ووفقا لتعاليم الإسماعيلية فإنهم فقط هم الذين نهضوا ليحيوا الحياة الجديدة في الجنة الروحية وقد ألغوا التعاليم والطقوس الظاهرية والصلوات وأحكام الشريعة من ذلك العصر عن عامة المؤمنين اتباع هذا المذهب وكان هذا العمل إعلانا لتساوي رؤساء الفرقة بأفراد الطبقات الدنيا فيها .

---

[1] مصطفي كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص١٠٤ ــ ١٠٥ .

[2] بطروشوفكي : الإسلام في إيران ، ص٢٧٢ ــ ٢٧٣ .

إن انـــتهاك الشـــريعة الدينـــية على هذا النحو الشعائري المهين بمـــا فـــي ذلـــك اتجاه المصلين بظهورهم إلى مكة والإفطار ظهرا في منتصـــف الصـــوم يمـــثل الحـــد المـــتطرف من اتجاه الإيمان بالعصر الألفـــي الســـعيد بمـــا يـــنطوي علـــيه ذلك من مخالفة صريحة لمبادئ الديـــن وهـــذا الاتجـــاه تواتـــر في تاريخ بعض المذاهب الإسلامية وله مشابهات واضحة في الفكر المسيحي .

ومـــنطوقة أن الديـــن قـــد اســـتوفي غرضه وبذلك انتهى حكمه فالأســـرار قـــد كشـــفت والإمـــام قد أظهر رحمته وعفوه فهو إذ جعل المؤمنيـــن خدمـــة المختاريـــن قد حفظهم من الخطيئة وبإعلانه القيامة قـــد وقـــاهم مـــن المـــوت ونقلهـــم إلى الفردوس الروحي وهذه القيامة التـــي كشـــف عـــنها حسن وكنتيجة لها أعفي الناس من الواجبات التي تفرضـــها الشـــريعة لأنهـــم فـــي فترة القيامة هذه يجب أن يتجهوا بكل جوارحهـــم إلـــى الله ويـــتخلوا عـــن شـــعائر الديـــن وما اعتادوا من عـــبادات أن الشـــريعة تقـــول أن على الناس أن يقيموا خمس صلوات فـــي الـــيوم كـــي يكونـــوا مع الله ولكن هذا التكليف رسمي فحسب ففي القـــيامة الروحـــية ينبغـــي علـــى الـــناس أن يكونـــوا دائما مع الله في قلوبهـــم ويـــتجهوا بـــأرواحهم دوما نحو حضرته القدسية لأن هذه هي الصلاة الحقة .

وقـــد قـــبل معظـــم الإســـماعيلين هذا النظام الدين الجديد ولكن كـــان هـــناك الـــبعض ممن رفضوا التحرر في التزامات الشريعة وقد اســـتخدم حســـن إزاءهـــم أشـــد العقوبـــات لـــتحريرهم وكان من بين هـــؤلاء العصـــاة الذيـــن رفضـــوا الانصـــياع للأوامـــر الجديدة صهر

حســـن وهـــو ســـليل أســـرة ديلمية ويصفه الجويني بأنه كان ممن يقر فـــي قلوبهـــم ظـــل من الطاعة والدين لم يستطع هذا الرجل أن يتحمل انتشـــار هـــذه الأخطـــار المخذيـــة فطعـــن حســـن بخنجر في ٦ ربيع الأول عام ٥٦١هـــ ، ٩ يناير ١١٦٦م[١] .

وانـــتقم محمـــد الثانـــي بـــن الحسن من جميع أفراد أسرة القاتل وســـار علـــى نفـــس خـــط أبيه وكان من نتيجة ذلك انضمام عدد كثير مـــن بيـــن طـــبقات الدنيا إلى صفوف فرقته وكان أشراف النزارية في ذلـــك العصـــر يجـــتهدون فـــي التقرب إلى الإقطاعيين من أهل السنة لكبح جماح جماهير العامة[٢] .

وقـــد مـــرت فـــترة حكـــم محمـــد الثاني بلا أحداث بارزة من الناحـــية السياســـية فـــيما عـــدا أن ساكني الموت واصلوا الإغارة على جـــيرانهم ، وقـــتل الفدائييـــن لأحـــد وزراء الخلـــيفة في بغداد ويذكر رشـــيد الديـــن وغـــيره من المؤلفين عن الفقيه السني الكبير فخر الدين الـــرازي أنـــه هـــاجم فـــي محاضـــراته لطلبة أصول الدين في الرأى الـــنظرية الإســـماعيلية وأعلـــن رفضـــه لهـــا ولعـــنها ولما سمع سيد المـــوت بذلـــك قـــرر أن يضع حد للأمر فأرسل فدائيا إلى الرى وهدد الفقيه الكبير مما جعله يبتعد عن نقدهم لما هددوه[٣] .

وفـــي تلـــك الأثـــناء كانـــت هناك تغييرات سياسية كبرى تأخذ مجـــراها فـــي بـــلاد الإســـلام الشرقية فقد أخذت في السلطة السلجوقية

---

[١] برنارد لويس : الحشاشون ، ص١٣٢ : ١٣٤ .

[٢]بطروشوفكي : الإسلام في إيران ، ص٢٧٤ .

[٣]مصطفي غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص٢٦١ .

الكـبرى الانحـــلال وقـــد اســـتطاعت لفـــترة أن تحـــافظ علــــى وحدة الإســــلام الســـني وتأكــيد هدفـــه وحل محلها نظام جديد من الإمارات التــــي أسســــها أمـــراء أو قواد سلاجقة وبدرجة متزايدة رؤساء القبائل التركانـــية الـــبدوية ، وحـــافظوا علــــى الالتزام القوى بالإسلام السني الســـلفي ، وحيـــث كـــان يقـــل عـــدد الأتراك كانت الجماعات المحلية ذات الأصـــل الفارســـي تـــرفع رؤوســـها وتحقـــق قدرا من الاستقلال ولكـــن الـــترك رغـــم انقســـامهم السياســـي واصـــلوا انـــتهاج هدفهم المشـــترك وهـــو انـــتزاع القـــيادات المحلـــية القديمـــة والحلول محلها وحققوا في ذلك نجاحا كبيرا .

وحـــاول الخلـــيفة الناصـــر اســـتعادة الوحدة الإسلامية فقد سعى لذلـــك بسلســـلة مـــن المـــبادرات الدينية والاجتماعية والتعليمية بما في ذلـــك الـــتقرب إلـــى الشـــيعة الاثـــنى عشرية والإسماعيلية وأحرز مع الآخرين قدرا مدهشا من النجاح[١] .

وحكـــم جـــلال الديـــن حســـن وكـــان على خلاف مع والده عن نظـــريات القـــيامة كمـــا أبـــدى رغـــبة فـــي قـــبول الأخوة الإسلامية بمعـــناها الواســـع ، وذكـــر الجويني أنه بعث سرا برسائل إلى الخليفة فـــي بغـــداد وســـلاطين وحكـــام الـــبلاد الأخـــرى يبلغهم فيه أنه على عكـــس مـــن أبـــيه يؤمـــن بالإســـلام وعندما يتولى الحكم سوف يلغي الكفر ويعيد اعتناق الإسلام .

ولمـــا تولـــى الحكـــم جاهـــر جـــلال الدين بإسلامه ووبخ شعبه وحذبـــه بشـــدة علـــى إلحـــادهم وحذر عليهم مواصلة ما هم فيه وحثهم

---

[١]برنارد لويس : الحشاشون ، ص١٣٦ : ١٣٧ .

نهاية الإسماعيلية في سوريا

كـــان الإســـماعيلية فـــي ســـوريا كمـــا هـــو متوقع قد شاركوا غـــيرهم مـــن المســـلمين فـــي التصـــدي للـــتهديد المغولـــي وبالنسبة لعلاقـــتهم مـــع بيـــبرس فـــنجد أن الأمـــور بيـــنهم سارت على النحو التالي :

ففـــي عـــام ١٢٦٠م يقطـــع أراضـــي الإسماعيلية إلى أحد كبار قـــواده ، وفـــي عـــام ١٢٦٥ أمـــر بجمـــع الضـــرائب والرسوم على الهدايـــا التـــي تصـــل إلـــى الإســـماعيلية مـــن مختلف الأمراء الذين يدفعـــون لهـــم الجـــزية ولـــم يكـــن فـــي اســـتطاعة الإسماعيلية الذين أضـــعفوا فـــي ســـوريا أن يـــبدوا مقاومة فقبلوا هذا الإجراء وأصبحوا هـــم أنفســـهم يدفعـــون الجزية لبيبرس وسرعان ما أصبح بيبرس بدلا مـــن ســـيد المـــوت وهـــو الـــذي يعين رؤساء الحشاشين ويخلعهم كما يريد[١] .

ولـــم يـــبد بيـــبرس فـــي بداية الأمر عداء نحوهم بل أنه عندما مـــنح الهدنـــة لفرســـان الاسبتارية ففي عام ١٢٦٦م نص فيها على أن يمتـــنوا عمـــا يـــتلقونه من جزية من مختلف مدن وأقاليم المسلمين بما فـــيها مـــن قـــلاع الحشاشـــين ، وكـــان الحشاشـــون من الحكمة بحيث أرســـلوا بمبعوثيـــن إلـــى بيـــبرس يعرضـــون عليه الجزية التي كانوا يدفعونهـــا مـــن قـــبل إلـــى الإفـــرنج لاستخدامها في الحرب المقدسة ،

---

(١) برنارد لويس : الحشاشون ، ص١٣٩ .

لكـــن بيـــبرس لـــم يتســـامح إزاء اســـتمرار وجود الحشاشين في قلب سوريا[١] .

وقـــد أقـــدم بيـــبرس علـــى خطوة جريئة إزاء الإسماعيلية أراد بهـــا القضـــاء علـــيها فـــي بـــلاد الشـــام عندما استولى على معاقلهم وحصـــونهم جمـــيعا ٦٧٠هـــ ، ١٢٧٢م وأقطعهـــم بـــدلا منها بعض الأراضـــي فـــي مصـــر وهكـــذا جعـــل مصر مقاما لهم بدلا من بلاد الشـــام ثـــم لـــم يمـــض عـــام حـــتى سلمت الإسماعيلية ما كان قد بقي بـــأيديهم مـــن الحصـــون وهـــى الكهف والقدوس والمنيقة وقد نجم عن رحـــيل الإســـماعيلية عـــن بـــلاد الشـــام أن أقيمت الجمعة في بلادهم التـــي تـــركوها وترضـــي عـــن الصـــحابة بهـــا وعفيـــت المنكرات وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره[٢] .

وقد مر تاريخ النزارية بدورين : ــ

الـــدور الأول : وهـــو دور الســـتر الأول ، دور الدعـــاة كحســـن بن الصـــباح وخليفـــته مـــن بعـــده إذ كانوا نوابا عن الإمام المستور نزار ابن المستنصر .

- **الحسن بن الصباح (٤٨٧ ــ ٥١٨)هــ .**
- **خليفته الكيابذرك (٥١٨ ــ ٥٣٢)هــ .**
- **محمد بن الكيابذرك (٥٥٧ ــ ٥٣٢)هــ .**

---

[١] أحمد رمضان أحمد : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص٧٦ : ٧٧ .

[٢] ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٥٢٠ ــ ٥٣٢ .

الـــدور الثانـــي : وهـــو دور الظهـــور الأول دور الأئمـــة يبدأ بإعلان الحسن الثاني الإمامة :

- **محمد الثاني** (٥٦١ ــ ٦٠٧هـ) .
- **جلال الدين حسن** (٦٠٧ ــ ٦١٧هـ) .
- **علاء الدين محمد** (٦١٧ ــ ٦٥٣هـ) .
- **ركن الدين خورشاه** (٦٥٤ ــ ٦٥٥هـ) .

ويتضـــح أن الـــنزارية فـــي فارس وخراسان والشام ظهر منها غلـــو فـــي الإمـــام ونائـــب الإمام فقد غلا اتباع الحسن بن الصباح فيه وافـــتقدوا بـــنوته بـــل وفـــي ألوهيته وكذلك اتباع الحسن الثاني وادعى راشـــد الديـــن ســـنان الألوهـــية وتحدث أحد أئمة النزارية في رسالته بمـــا يشـــير إلـــى اعـــتقاده بأن روح الله قد حلت فيه وبذلك فإن فكرة الحلـــول قـــد انتشـــرت بيـــن الإسماعيلية في فارس بوضوح وصراحة في دولة النزارية .

رد فعل الخلافة العباسية

كـــان رد الفعـــل الســـني فـــي أول الأمر محدود وغير فعال فقد اتخـــذت الخلافـــة العباســـية بعـــض الاحتـــياطات الأمنـــية ضد الدعاة وأعلنـــت نوعـــا مـــن الحرب السياسية ضد الفاطميين فاتهمتهم بطريقة غـــير مقـــنعة فـــي بـــيان صـــدر فـــي بغداد عام ١٠١١م بأنهم ليسوا فاطميـــين بالمـــرة وأنهـــم مـــن نسل دعى سيئ السمعة فشل الفاطميون فـــي مواجهـــتهم ونجـــت الخلافة العباسية واستعاد الإسلام السني قوته وانتصـــر ، وبـــدأ الخلفـــاء الفاطمـــيون يفقـــدون إمبراطوريتهم تباعا ويفقدون معها سلطتهم على اتباعهم[١] .

وقـــدم الـــزعماء الـــترك والجـــنود الـــترك مـــا يلـــزم من قوة ومهـــارة سياســـيا وعســـكريا لمواجهـــة واحـــتواء وضـــد الخطريـــن الكبيريـــن اللذيـــن يهـــددان الإســـلام الســـني وهمـــا تحـــدي الخلفاء الإسماعلين ثم غزو الصليبيين القادمين من أوروبا[٢] .

هـــذان الخطـــران الانقســـام الديني والغزو الأجنبي ساعدا على إذكاء اليقظة السنية الكبرى التي كانت تستجمع قواما .

ففـــي العالم السني كان لا يزال هناك احتياطي هائل للقوة الدينية يتمـــثل فـــي فقه الفقهاء وروحانية المتصوفة وإيمان الاتباع ، وفي هذا الوقـــت مـــن الأزمـــة والانتعاش ظهرت تركيبة فكرية جديدة ردا على التحدي العقلي للفكر الإسلامي والحادبية العاطفية للعقيدة الإسماعيلية .

---

[١] فتحي محمد الزغبي : غلاة الشيعة ، ص٣٥٣ : ٣٥٥ .

[٢] برنارد لويس : الحشاشون ، ص٧٧٧ .

الفصل الرابع

موقف الإسلام من الفرقة

- رأي علماء الإسلام.
- حكم الإسلام على هؤلاء.

إذ صنف كتابه فضائح الباطنية بناء على أمر الخليفة العباسي للرد عليهم واشتمل كما يقول : على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم وفنون مكرهم واحتيالهم ووجه استدراجهم عوام الخلف وجهالهم وإيضاح غوائلهم في تلبيسهم وخداعهم وانسلالهم عن رتبة الإسلام وإنسلاخهم وإنخلاعهم وإبراز فضائحهم وقبائحهم بما يفضي إلى هتك أسرارهم وكشف أغوارهم، وقد حكم **الغزالي** على الإسماعيلية الذين عاصرهم بالكفر والردة[١] .

وكذلك الإمام **ابن حزم** فإنه ذكر في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" أن جميع فرق الإسلام متبرئة من غلاة الشيعة مكفرة لهم مجمعون على إنهم على غير الإسلام وذكر إن الغلاة ينقسمون إلى قسمين ، قسم أوجبوا النبوة بعد النبي ﷺ لغيره ، والقسم الثاني أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر .

وقد خصص **البغدادي** فصلا كاملا في كتابه "الفرق بين الفرق" في ذكر الباطنية وذكر أن ضررهم على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم وأن فرض الباطنية يتركز في القول بمذاهب الدهرية واستباحة الحرمات وترك العبادات .

---

[١] أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ، ص١٤٦ ــ ١٥١ .

وفـــي كـــتابه "**أصـــول الديـــن**" يذكـــر أن الباطنية خارجة عن فـــرق الأهـــواء وداخلـــة في فرق الكفر الصريح لأنها لم تتمسك بشئ مـــن أحكـــام الإســـلام لا فـــي أصوله وفي فروعه وأن دعاتهم خالفوا المســـلمين فـــي التوحـــيد والنـــبوات وفـــي تأويل الآثار والآيات وأنهم **كانوا دعاة المجوس** بالتموين إلى دين الثنوية[1] .

وذكـــر الإمـــام **أبـــو منصـــور البغدادي** في كتابه **الفرق** عرضاً للفـــرص كلهـــا ورد علـــيها وتخلـــص مـــن رايـــة اعتبار الغلاة منهم والذيـــن ألهـــوا **علـــيا** وغـــالوا فـــيه إنهـــم خارجون عن الإسلام وفي كـــتابه "أصـــول الديـــن" ذكـــر حكم الإسلام في غلاة الشيعة فقال إنهم كلهم مرتدون عن الدين وحكمهم حكم أهل الردة .

وأمـــا الإمـــام **ابـــن تيمـــية** المتوفي ٧٢٨هـــ فذكر أن الباطنية أكفـــر مـــن الـــيهود والنصـــارى بل وأكفر من أكثر من المشركين فإن هـــؤلاء يـــتظاهرون عـــند جهـــال المسلمين بالتشبيه ومالاه أهل البيت وهـــم فـــي الحقـــيقة لا يؤمـــنون بالله ورسوله ولا بكتابه ولا بالأوامر والنواهـــي ويـــأخذون كـــلام الله ورســـوله المعـــروف عـــند علمـــاء المسلمين يتناولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن .

هـــذه الفـــرق الضـــالة التي أفسدت في البلاد طولا وعرضا ما موقف الإسلام منها ؟

لقـــد جـــاء الإســـلام بمـــيزان دقـــيق يزن به أقوال الخلائف وأعمالهم حـــتى إذ حاســـبهم لـــم يظلمهـــم لقولـــه سبحانه "إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها .." النساء ٤٠ .

---

[1] **فتحي محمد الزغبي : غلاة الشيعة ، ص٦٧٣ ــ ٦٧٧ .**

"**إن الله لا يظلم الناس شيئا** .." يونس ٤٤ .

وفي الحديث القدسي الذي رواه **أبو ذر** – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : "يقول الله عز وجل : "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، أو أزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها ، أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن مشى إلى ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هروله ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة".

نعم جاء الإسلام فلم يجبر الناس أو يكرهم على إيمان بل قال : "من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" الكهف ٢٩ وزصد لكل جزاءه.

أما أصحاب النار : فقسمان قسم مخلد فيها وقسم عاص يستحق النار .

أما المخلد في النار فهو المرتد عن الإسلام ، والعياذ بالله سواء كان الارتداد بسبب قوله في الله أو النبي أو الإسلام بحيث يخرجه عن الملة ، أو بفعل مناف للإسلام ، كالسجود إلى صنم وثني أو تعليق لصليب فرد عتقه أو ما شابه ذلك من أفعال الجاهلية ، وهو عالم بحرمته غير مكره[1] .

أو أنكر متواتر أو استحل أو أنكر ما كان من الدين بالضرورة أو استحل ما حرم الله ، من غير تأويل بعد علمه بحكمه الشرعي ، فهؤلاء الأصناف يسمون مرتدين عن الإسلام مهدوري الدم ولا عصمة لهم ولا يرثون ولا يورثون ولا يغسّلون

---

[1] **د . محمود محمد زسلان : الفرق في الميزان ، ص٢٢٠ : ٢٢١ .**

ولا يكفنون ولا يصلي عليهم ولا يدفنون في مقابر **المسلمين** ويقتلون كفرا لا حدا لقول النبي ﷺ : "حكم الإسلام على هؤلاء الخارجين على دعوته يتلخص فيما يلي :

- ما أخرجه الإمام مسلم من حديث طويل عن **الحذيفة ابن اليمان** قال : قلت : هل بعد ذلك من شر ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أمتي أجابهم إليها فقذفوه فيها" .
- وما أخرجه **الإمام مسلم** من حديث طويل آخر عن **حذيفة بن اليمان** قال : قال رسول الله ﷺ : "وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس" .
- وحديث **أنس** الذي رواه **الحارث الأشعري** عن رسول الله ﷺ قال : "من دعا بدعوة الجاهلية فإنه من جثى جهنم ، قال رجل يا رسول الله وإن صام وصلى ، قال : نعم وإن صام وصلى ، فادعوه بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله"[1] .

يخلص مما تقدم أنه لا يجوز لمسلم أن يكفر أحدا من أهل القبلة وإن العصاة من المسلمين لهم عقاب فيها في الآخرة ثم يعفي عنهم وذكر **ابن تيمية** أن علماء المسلمين اتفقوا على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلى على من مات منهم فإن الله نهى نبيه عن الصلاة على المنافقين وكانوا يتظاهرون بالإسلام ولا يظهرون ما قاله تخالفه بل كانوا يسرونها فكيف بهؤلاء الذين مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد .

---

[1] فتحي محمد الزغبي : غلاة الشيعة ، ص٦٧٧ .

نتائج البحث

الخاتمة

جـاء الإسـلام صـافيا نقـياً بسيطاً ليس فيه تعقيد يفهمه . كل إنسـان بسـهولة ولكـن فرق الشيعة خلقوا من هذا الدين أديانا تختلف كـل الاخـتلاف عـن الإسلام الصحيح حتى أصبحت هذه الفرق بعيدة كل البعد عن الإسلام .

لقـد دخـل فـي الإسـلام كـل الـناس مـن كـل الديانـات والاعـتقادات لأنهـم وجـدوا فـي هذا الدين الجديد مصححا لأديانهم وبالـنظر لاتسـاع أطـراف الدولـة الإسـلامية واندماج فئات من كل الأجـناس والمعـتقدات فقـد حمـل بعـض الذين لم يفهموا الدين على حقيقـته عقـائد مـن أديـانهم السـابقة ومن بقايا اعتقادتهم وأفكارهم التـي نشـؤوا علـيها حتى انشق عن الإسلام مئات الفرق التي تختلف بعضها عن البعض الآخر .

الخلاف حول الحكم : .

ويـبدو مـن الـبداية أن الخلاف هو في الأصل خلاف سياسي أي خـلاف حـول الحكـم ولـم يكـن له أصل ديني بمعنى أن الذين وضـعوا بـذور التشـيع لـم يخـتلفوا حـول شـأن من شئون الدين والعقـيدة ولكـنهم اخـتلفوا حـول قضـية الإمامـة مـن الذي يحكم المسـلمين ؟ وهـل المسـلمين أحـرارٌ فـي اختيار الحاكم أم أن هذا الأمـر لـيس مـن الشـئون المفوضـة إلـى الأمـة وإنمـا هو أمر منصـوص علـيه مـن صـاحب الشـريعة ﷺ ومحصور في أحفاده الذين أطلق عليهم تعبير آل البيت .

هـذه نقطـة الخـلاف الأساسية بين الجمهور والشيعة فجمهور المسـلمين يـرى أن مسـألة الإمامـة أو الخلافة رأى خلافة النبي في حكـم الجماعـة الإسـلامية ، هـي من أخص شئونهم وأن النبي ﷺ انـتقل إلـى الرفـيق الأعلـى دون أن يعين اسم الحاكم الذي يخلفه في إدارة شـئون الدولـة ولـم يبيـن الطريقة التي يتم على أساسها اختيار خليفـته ولـم يحـدد الشـروط التي يجب أن تتوافر في الحاكم وما إلى ذلـك مـن تفصـيلات وإنمـا بيـن الإطار العام والمثل الأخلاقية التي يراعى اتباعها عند اختيار الخليفة .

هـذه هـى القـاعدة التـي ملكهـا جمهور الأمة بعد وفاة النبي ﷺ وعلـى أساسـها تـم اختـيار **أبى بكر الصديق** خليفة للنبي ولكن الشيعة كان لهم رأى آخر .

رأى الشيعة في الحكم : .

يـنظر الشـيعة فـيما يـبدو على اختلاف فرقهم وتعدد أحذابهم إلـى الإمامـة نظـرة دينـية بحته أى أنها ليست من الأمور السياسية التـي تخضـع لإرادة الأمـة ، فالأمـة ليسـت حرة في اختيار الإمام وبالتالـي فهـي ليسـت مـن صـلاحيتها عزله إذ انحرف أو أخطأ ، **والإمـام فـي نظـر الشـيعة غـير** قابل للانحراف لأنه معصوم من الخطأ مثل الأنبياء غير أنه لا يوحي إليه .

وبـناء علـى ذلـك فـإن الشـيعة لا يعترفون بخلافة الراشدين الـثلاثة الذيـن تولـوا أمر المسلمين بعد انتقال الرسول إلى جوار ربه وهـم **أبـو بكـر الصـديق** وعمـر **بـن الخطـاب** و**عثمان بن عفان**

ويحصـــرون الإمامـــة فـــي **علـــى بن أبى طالب** وأولاده ويزعمون أن الخلافـــة آلـــت إلـــى **أبـــو بكـــر الصديق** عن طريق التآمر بينه وبين **عمـــر والســـيدة عائشـــة** وبعـــض الصحابة الذين يضمرون الضغينة **لعلـــى** وبـــناء علـــى ذلـــك فإنهم ينظرون إلى الخلفاء الثلاثة على أنهم اغتصبوا الحق من أصحابه (على وبنية) .

ويـــبدو أن هـــذه الـــنظرية التـــي يؤمن بها الشيعة لم تظهر في حيـــنها ولـــم تـــردد علـــى ألســـنة رجالهم عقب وفاة النبي ولا طوال عهـــود الخلفـــاء الراشـــدين ولكـــنها ظهرت في عصر متأخر أى بعد وقـــوع الشـــرخ الكبـــير فـــي الجماعـــة الإسلامية وانقسامها إلى شيعة مناصـــرين لـــــ **علـــى ابـــن أبـــى طالب** ، وأموية تناصر **معاوية بن أبـــى ســـفيان** والـــى الشـــام فلمـــا ظهر الحزب الشيعي على المسرح السياســـي بـــدأ مفكـــروه يبـــتدعون الأفكار النظرية التي تخدم أهدافهم ويجهـــدون أنفســـهم فـــي تطويـــع الآيـــات القرآنية والأحاديث النبوية وهـــو مـــا يعـــرف بالـــتأويل لكـــي تقـــدم لنظريـــتهم السند الشرعي والـــدلالات التـــي تؤكـــد فكـــرتهم حـــول الإمامة وانحصارها في بيت **علـــى بـــن أبـــى طالـــب** فـــزعموا أن الآيـــة القرآنية الكريمة "**يا أيها الرســـول بلـــغ مـــا أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالة**" إنمـــا نزلـــت علـــى رســـول الله بعد عودته من حجة الوداع لكي يبلغ المســـلمين بالـــنص علـــى إمامـــة **علـــى بن أبى طالب** ويقولون : إن النبـــي وقـــت نـــزول الآيـــة كان في مكان يقال له : "غدير خم" فامسك النبـــي بـــزراع علـــى ثـــم خاطب الناس قائلا : "من كنت مولاه **فعلى** مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" .

هــذا هــو أقــوى دلــيل يستدل به الشيعة على أن على بن أبى طالــب منصــوص علــيه بمقتضـــى الآيـــة القرآنية والعبادة المنسوبة إلـــى النبـــي ﷺ ، وهـــناك بالطـــبع أدلـــة أخرى مثل قول النبي "أنا مديـــنة العلـــم وعلـــى بابهـــا" وغـــيرها من الأحاديث التي تشيد **بعلى** وتـــرفع مـــن قـــدره ولكـــن الفكـــر الشـــيعي أخـــذ هذه العبارات التي صـــدرت عـــن النبـــي وجعلـــوا مـــنها دلالات علـــى أحقـــية على في الإمامـــة وارتفـــاع قـــدرة علـــى غـــيره مـــن الصـــحابة وتعطيه حق الإمامة.

عـــبارة النبـــي ﷺ فـــي حديـــث الغديـــر لن تجد فيها ما يشير إلـــى إمامـــة علـــى والـــنص علـــى خلافته للنبي ﷺ فالنبي يدعو إلى مـــوالاة علـــى ومعـــاداة مـــن عاداه فهل يفهم من هذا النص أى معنى يـــدل علـــى أن النبـــي يعين عليا إماما على المسلمين بعد وفاته ؟ وإذا كـــان النبـــي يـــريد ذلـــك فلمـــاذا لـــم ينص على ذلك صراحة؟ وهل يتصـــور قـــيام حـــائل يحـــول بيـــن النبـــي وهو المشرع الأول وبين إعلان اسم خليفته ؟

وقـــد تصـــدى المفكـــرون الإســـلاميون لـــنظرية الشـــيعة في الإمامـــة وناقشـــوا الأدلـــة التـــي يعـــتمدون علـــيها فيقول العلامة ابن خلـــدون "إنهـــم أى الشـــيعة يؤيـــدون مذهـــبهم بنصـــوص يـــنقلونها ويؤولونهـــا علـــى مقتضـــى مذهـــبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقله الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون فيه" .

ويـــرد الشهرســـتاني علـــى وضعهم حديث الغدير الذي ينسبون فيه إلىٰ النبي النص على إقامة على بن أبى طالب فيقول :

أولا : مـــن المحـــال مـــن حيث العادة أن يسمع الجمع الغفير كلاما من رســـول الله ﷺ ثـــم يـــنقلونه فـــي مظنة الحاجة وعصيان الأمة بمخالفـــته والدواعـــي بالضـــرورة تـــتوافر عـــن النقل خصوصا وهـــم فـــي نأنـــأة الإسلام وطراوة الدين وصفوة القلوب وخلوص العقـــائد مـــن الضـــغائن والأحقـــاد وإذا كانت الدواعي على النقل موجـــودة والصـــوارف عـــنه مفقـــودة ولـــم ينقل دل على أنه لم يكن في الباب نص أصلا .

ثانـــياً : لـــو أن شخصـــا كـــان قد عين لكان يجب على ذلك الشخص المعيـــن أن يـــتحدى بالإمامـــة ويخاصم عليهم ويخوض فيها ولم يقل أن أحدا تصدى للإمامة وادعاها نصا عليه وتسليما إليه.

والثابـــت تاريخـــياً أن علـــى بـــن أبـــى طالب امتنع عن مبايعة أبـــى بكـــر الصـــديق ولكنه ما لبث أن بايعه بعد فترة قصيرة والشيعة أنفســـهم لا يـــنكرون مـــبايعة علـــى **لأبى بكر** ، ولكنهم يبررونها على سبيل التقية أى أنه عليا لم يفعلها إلا مدارة وخوفا .

وهكـــذا نجـــد الضـــعف واضحا في كافة الأدلة التي تستند إليها الـــنظرية الشـــيعية ، فهـــى أدلـــة لا تصـــمد أمـــام النقد التاريخي أو الـــبرهان العقلـــي ولكـــن الشـــيعة يتمسكون بها إلى حد الاستشهاد في ســـبيلها ؛ لأنهـــا تخـــدم غرضـــهم الأساســـي وهو قصر الإمامة على **البيـــت العلـــوي واعتـــبار مـــا عـــداه بـــاطلا واعتـــبار كـــل الخلفاء مغتصبين .**

ويبدو من هذا العرض أن التشيع فيها مطلع أمره كان فكرة سياسية بحتة تنتصر لأحد البيوت القرشية في مواجهة البيوت الأخرى ، ولكن هذه النظرية السياسية لم تلبث أن تطورت مع الأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية والمذهبية حتى بات التشيع في نهاية الأمر عقيدة دينية خالصة وتحول التشيع إلى كهف يأوى إليه الحاقدون والمتربصون بالإسلام وكل من يريد الكيد له ونجد ذلك من المذاهب الشيعية الغالية التي تطرقت إلى المدى الذي ابتعد بها عن حظيرة الإسلام وجعلت الأئمة في مرتبة الأنبياء والآلهة مثل السيئة والنصرية والإسماعيلية والتي قامت بينها وبين جمهور المسلمين أحداث كثيرة في التاريخ .

ومن هذه الفرق التي نحن بصدد الحديث عنها فرقة الحشاشين التي قد لعبت دورا كبيرا في أحداث عصرها فقد انعكس تطرفها العقائدي في معظم الأحيان على علاقاتها السياسية وجعلها مسئولة إلى حد كبير لما أثارته من قلاقل وتوتر عن الوضع المفكك الذي آل إليه المشرق الإسلامي فانفتح أمام مصراعيه أمام جحافل المغول البربرية تجتاح كالسيل الجارف كل أثر من آثار الحضارة في كل من فارس والعراق والشام ولقد وقعت هذه الدولة نفسها فريسة للغزو المغولي .

ولقد أنجبت دولة الإسماعيلية في فارس عددا من الشخصيات السياسية الفذة التي دأبت على تطوير العقائد المذهبية بما يتلائم مع الأوضاع والأخطار المحيطة بهم ووضع هذه العقائد

موضـــع التطبـــيق فتمكنـــت مـــن تكوين مجتمع ذا طابع فريد أشبه ما يكون بالمجتمع الذي كونه القرامطة في البحرين .

ولقـــد أقـــام الحســـن بـــن الصـــباح صـــرح تلك الدولة ومنحها طبيعـــتها المميـــزة لهـــا كمـــا قطـــع الحســـن بن محمد بذرك بعقائدها شـــوطا لـــم تـــبلغه فـــرقة من الفرق الإسلامية الغالية بينما عاد جلال الديـــن بهـــذه العقـــائد المـــتطرفة إلـــى الاعـــتدال فتمكـــن مـــن دعـــم علاقاتـــه السياســـية بمـــن حوله ، ولقد استطاع حكام هذه الدولـــة الحفـــاظ علـــى اســـتقلالها السياســـي والمذهبـــي طيلة حياتها وكانـــت مـــن القـــوة والـــبطش بحيـــث تؤثر فيمن حولها ولا تتأثر بهم إلا حيـــن يجـــردون علـــيها حمـــلات انتقامـــية كمـــا كانت من القدرة والمـــنعة بحيـــث تســـتطيع أن تحـــدد نـــوع علاقاتهـــا بغـــيرها ، لكن القضـــاء علـــى تلـــك الدولة لم يكن سهلا حتى بالنسبة للمغول الجبابرة فقـــد كلفهـــم ذلـــك الكثير من أرواح جنودهم وخسروا أمام الإسماعيلية عددا من المعارك .

والحقـــيقة أن دعـــوى الحشاشـــين كانـــت خليطاً شاذاً من كل ما هـــو موجـــود لـــدى طوائـــف الشيعة جميعا فقد أخذوا عن الإسماعيلية أســـلوب العمـــل الســـري والمعقـــد وعـــن السبئية القول بألوهية علي ورجعته وعن الشيعة عموما القول بالعلم الظاهر والباطن .

وتكمـــن الخطـــورة فـــي أن هـــذه الدعـــوات تروج بين العامة والســـنج كمـــا أنهـــا تخدع المثقفين الذي لا يحصنهم علم كاف بأصول دينهم .

وقـد شـاع بيـن المسـلمين والمسيحيين اعتقاد راسخ مؤداة أن رؤسـاء الفـرقة الإسـماعيلية كـانوا يخـدرون التابعين لهم من عامة الفـرقة بالحشـيش وسـائر المـواد المخدرة لإعداد الشباب لهذا العمل الفدائـي حـتى يزيـنوا فـيه مخيلـتهم ويقووا فيه أنسفهم إرادة الأقدام علـى العمـل الفدائـي والقـتل لكن المعروف أن مدمن الحشيش جبان لا يسـتطيع أن يقـوم بالأعمـال الخطـيرة التي كان يقوم بها الفدائيون وتشـل التفكـير وتخـدر العقـل ويـبدو أن هـذا ليس أكثر من ظن وتخميـن ، وأن كـان هـذا الظـن له ما يبرره فقد كان اسم النزارية فـي فـارس وسـوريا فـي القرنيـن السـادس والسابع الهجريين هو الحشاشـين كمـا اسـتخدم هذا اللقب في الممالك الإسلامية عند العامة فـي سـائر الكتـب والمؤلفـات أطلق عليهم حسنيون أى اتباع الحسن بن الصباح .

والحقـيقة التـي يـراها المستشـرق الروسـي الكبير إيفانوف وغـيره مـن العلمـاء الذين اهتموا بالأبحاث الإسماعيلية هى أن كلمة حشاشـون التـي أطلقـت علـى فـرقة الفدائية محرفة عمداً وأصلها على أربعة أوجه :

- Assant أساسـان معـناه القـتلة وهـذه لفظـة كـان يطلقهـا الفرنسـيون الصـليبيون علـى الفدائـية الإسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكها وقادة جيوشهم فخافوهم ولقبوهم الأساسان.
- Asoassins نسـبة إلـى رئـيس الفدائية الحسن بن الصباح أى حساسان .
- حاسون ذوى حسن وشعور .

- حشاشون يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم .

وإذا كان **حسن الصباح** قبل أن يطلب من أحد اتباعه تنفيذ مهمة يقوم بتحذيره بمادة الحشيشة فهل كان يستمر تأثير تلك المادة مدة طويلة ؟ أم مجرد يوم أو ساعات لا يبدو ذلك مقبولا بدليل :

أولاً : لما أرسل **حسن الصباح** أحد أفراده من فارس ووكل إليه مهمة الأمر إلى ابن المستعلي الخليفة الفاطمي في مصر كما تذكر المصادر ، فهل يمكن أن يستمر تعاطي مادة الحشيش مدة خمس أو أربعة أيام أو أكثر من ذلك حتى يتمكن التابع من انتهاز الفرصة المناسبة التي تمكنه من قتل الخليفة الفاطمي ، فلو كان يتعاطى مادة مخدرة لانتهى مفعولها واحتاج إلى جرعة أخرى حتى يتمكن من تنفيذ المهمة والإعاد إلى رشده وعقله وعاد بدون تنفيذ المهمة .

ثانياً : لما أراد **سنان راشد الدين** التخلص من **صلاح الدين** تذكر المصادر المعاصرة للأحداث أن إسماعيلية الشام لبسوا ذياً من نفس ذى جنود **صلاح الدين** ؛ لأنهم كانوا معروفين الخلفاء **صلاح الدين** الذي حاربوا معه في الشام ، ومكثوا عدة أيام وحاربوا معه ، ولما انتصر **صلاح الدين** انتهزوا الفرصة وقفز عليه ثلاثة منهم وحاولوا التخلص منه . فالمدة التي مكثوها بالمقارنة عدة الحرب طويلة ولو كانوا يتعاطون شيئا لانتهى تأثيره .

ويبدو أن تعاليم **الحسن الصباح** لهؤلاء المعروفين بالفدائيين والذي وكل إليهم تنفيذ مهام القتل كانت موضوعة بنظام معين وحسب تدريب شاق وعسير . وكان **الحسن بن الصباح** يشرف بنفسه على اختيار هؤلاء من بين أبناء كبار قوادة وأهالي القلاع ويغرس في نفوسهم الطاعة والانصياع للأوامر ويغرس في نفوسهم التعاليم الدينية على حسب ما يراها ويبصرهم بأمور معينة فقلما تجد أحد أفراده يخرج على طاعته .

ومما أشاعه **ماركو بولو** عن وجود أودية من عسل ولبن عند وصفه لقلعة الموت وما حولها لم يأت ذكره فيما أورده **الجويني** – الذي ذهب إلى الموت بعد استيلاء المغول وتدميرهم لها وأخذ **الجويني** بعرض كتب **الصباح** وترجم كتاب جهانكشاي سيرة حياة حسن الصباح ولما ولم يأت ذكر تعاطي مادة الحشيش في نظام تربية الفدائية الذي اتبعه **الحسن الصباح** أو أية إشارات تدل على ذلك ، ويبدو أنها مدسوسات على الطائفة من قبل الآخرين.

كما يذكر **مارك بولو** – وغيره من المؤرخين وكتاب الفرق والبعض ذكر أن مادة الحشيش تقوى عزائمهم على القتل والاغتيال .

وإذا كان **الحسن الصباح** قبل إقدامه على أى مهمة يقوم بتخدير أحد الفدائية لتنفيذ المهمة ويرسله ليرى الجنة ويداعب حسناواتها ثم يعيده ويجعله يفوق من هذا ويطلب منه تنفيذ المهمة لقاء أن يرجعه إلى الجنة التي كان بها وإن قتل يبلغه بأنه سيغفر

لــه ذنوبـــه ويخيـــبه مـــن العـــذاب ويدخلـــه الجـــنة ــ هل كانت هذه الأمـــور يصـــدقها كـــل اتـــباعه ؟ ألـــم يكن من بين أحد اتباعه رجل رشـــيد يســـتطيع أن يـــدرك مـــدى مـــا **يعطيهم إياه حسن الصباح** من مـــواد مخـــدرة بدلـــيل أنـــه لمـــا توفي الحسن الصباح وبعد تولى عدد مـــن خلفـــاءه مـــن بعـــده جـــاء عهـــد أحد خلفائه ويسمى **جلال الدين** فـــنادى بـــالدعوة الإســـلامية الصـــحيحة ونـــبذ هـــدم تعالـــيم **الحسن الصـــباح** وعمـــل علـــى الاتصـــال بالأمـــراء وحكام العالم الإسلامي الســـني فـــنجد أن أتـــباعه فـــي **فـــارس** وكذلـــك فـــي **سوريا** يطيعوه ويـنـــبزوا تعالـــيم **الحســـن** الـــباطلة وعـــن اقتناع بما يدل على هؤلاء مـــنهم أنـــاس راشـــدين يســـتطيعون التميـــيز بيـــن الغث والثمين في الحديـــث إذ كـــان **الحســـن الصـــباح** يسيطر عليهم بوسيلة أو بأخرى أو لغـــة كـــان يهددهـــم بنظام الاغتيال الذي كان شائعاً في عهده وكان وســـيلة للقـــتل مـــن أســـهل الوســـائل للتخلص من أعدائه ولعل عملية قـــتل ولديـــه الدلـــيل علـــى ذلك فيمكن أن يكون رفض سلوك والدهما وأباطـــيله فـــادعى أن أحدهمـــا شـــرب خمـــرا وتخلص منه وتخلص أيضا من الآخر كما يذكر المؤرخون .

ويمكـــن أن يقـــال : إن كثـــيراً مـــن اتباع **الحسن الصباح** أناس جهلـــة وأغلـــبهم مـــن الفلاحيـــن الذيـــن اضطهدهم السلاجقة ولما جاء الصـــباح وأظهـــر المســـح وادعـــى الـــزهد ليس عليهم أسلوبه وادعى بأنـــه المخلـــص الـــذي ســـيملأ الأرض عـــدلا بعـــد أن ملئـــت جورا فصـــدقه قومـــه ، وكـــان الفرس يعتقدون في ألوهية حكامهم ويدخلون ويلبســـونهم بمظاهـــر الـــتقديس فلمـــا أسلموا لم يجدوا ذلك في شخص

الخلفــاء المســلمين ــ بــل وجــدوه فيمــن ادعى التشيع فالتفوا حول هــؤلاء الشــيعة فلمــا ســيطر الحسن على هؤلاء الشيعة من البديهي أن يكــون أبــناء هــؤلاء الشــيعة على شاكلتهم وعلى نفس نمطهم من الجهل بأمور الدين الصحيحة .

بدلــيل أن أحــد خلفــاء **الحســن الصباح** ويسمى الحسن الثالث ادعــى أنــه نصــب خلفا **لعلى وفاطمة** رضي الله عنهما وادعى بداية عهــد جديــد وأعلــن نهايــة الدنــيا وإعلان القيامة وطالب من اتباعه إبطــال التعالــيم والطقــوس الظاهــرية والصــلوات وأحكام الشريعة فتتــبعه هــؤلاء الذيــن تــربوا على الجهل بأمور الدين الصحيحة ولما قــتل وجــاء الإمــام **جــلال الديــن** ودعــى إلى إبطال التعاليم الفاسدة والعــودة إلــى تعالــيم الديــن الصــحيح واعــترف بالمذهــب السني وبالخلافــة العباســية اتــبعه قومــه ونــبزوا الاعــتقادات السابقة ولما مــات عــاد خلفــه إلــى التعالــيم الفاســدة للشيعة الإسماعيلية فاتبعوه قومــه أيضــا وهكــذا بــدا لــنا أن نقارن بين الموقف في كل الأحوال لــنقرر الأمــر والحكــم علــى هؤلاء حتى نكون وجهة نظر صحيحة وبعيدة عن التعصب لمذهب معين .

المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

١ ــ **السـيد أمـير الكاظمـي** : الشـيعة في عقائدهم وأحكامهم ــ دار الزهراء ــ بيروت ــ لبنان ١٩٧٧م .

٢ ــ **بـرنارد لويـس** : الحشاشـون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ــ تعريـب : محمـد العرب موسى ــ ط٢ ــ القاهرة ١٩٨٦م .

٣ ــ **أبـو زيـد شـلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ــ دار وهبه ــ ١٩٨٥م .

٤ ــ **طـه عـبد الباقـي سرور** : الغزالى ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٤٥م .

٥ ــ **د . كـامل مصـطفي الشـيبي** : النزعات الصوفية في التشيع ــ جـ٢ ــ دار الأندلس للطباعة والنشر .

٦ ــ **د . هشـام معـروف الحسيني** : الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ــ دار القلم ــ بيروت ١٩٧٩م .

٧ ــ **د . أميـن أميـن راشـد** : قضـية التفكير في الفكر الإسلامي ــ دار الهدى ــ مصر ١٩٨٥م .

٨ ــ **د . أسـعد طلـس** : مصـر والشـأم في الغابر والحاضر ــ دار المعارف ١٩٤٥م .

٩ ــ **د . مصـطفي غالـب** : الحركات الباطنية في الإسلام ــ بيروت ١٩٨٢م .

١٠ ــ **أبــو حــامد الغــزالى** : فضـــائح الباطنية ــ تحقيق : د / عبد الرحمن بدوي ــ مصر ١٩٦٤ .

١١ ــ **السيد محمد الأمين** : أعيان الشيعة ــ بيروت ١٩٦٠م .

١٢ ــ **أحمد محمود صبحي** : الزيدية ــ الزهراء بمصر ١٩٨٤م.

١٣ ــ **عــبد القاهــر البغدادي** : الفرق بين الفرق ــ تحقيق : طه عبد الـــرؤوف ســـعد ــ مؤسســـة الحلبـــي البابـــي ــ القاهرة ــ د . ت.

١٤ ــ **الشهرســـتاني** : الملـــل والـــنحل ــ تحقيق : محمد سيد كيلاني ــ مصطفي بابي الحلبي ــ القاهرة ١٩٧٦م .

١٥ ــ **ابــن الأثــير** : الكـــامل فـــي الـــتاريخ ــ جــ١٠ ، جــ١١ ــ القاهرة ١٣٠٢هــ .

١٦ ــ د . **فتحـــي محمـــد الزغبـــي** : غـــلاة الشـــيعة ــ مطبعة طنطا بمصر ١٩٨٨م .

١٧ ــ د . **طـــه شـــرف** : دولـــة النزارية ــ أجداد أغاخان ــ ط١ دار النهضة المصرية العامة ١٩٥٠م .

١٨ ــ **ابــن الجــوزي** : تلبــيس إبلـــيس ــ مكتبة الدعوة الإسلامية ــ الأزهر بمصر ١٣٦٨هــ .

١٩ ــ **عبد الله عثمان** : الجمعيات السرية .

٢٠ ــ د . **محمـــد إدريـــس** : تـــاريخ العـــراق في المشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي ــ القاهرة ١٩٨٥م .

٢١ ـ **عبد الرحمن الجبرتي** : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ـ القاهرة ١٩٦١م .

٢٢ ـ **بطروشوفكي** : الإسلام في إيران ـ ترجمة : د / السباعي محمد السباعي ـ القاهرة ١٩٨٢م .

٢٣ ـ د . **أحمد أمين** : ظهر الإسلام ـ القاهرة ١٩٧٨م .

٢٤ ـ د . **أحمد عبد القاهر** : حركات الغلو والتطرف الإسلامي.

٢٥ ـ **محمد السيد جمال الدين** : دولة الإسماعيلية في إيران .

٢٦ ـ د . **حسن إبراهيم حسن** : الدولة الفاطمية ـ ط١ ـ القاهرة ١٩٨١م .

٢٧ ـ **محمد كامل حسين** : طائفة الإسماعيلية ـ القاهرة ١٩٥٩م.

٢٨ ـ **نظام الملك الطوسي** : سياسة نامة ـ ترجمة وتعليق : سيد محمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .

٢٩ ـ **حامد زيان غانم** : الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ـ القاهرة ١٩٨٣م.

٣٠ ـ **السيد الباز العريني** : المغول ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٨٦م .

٣١ ـ **ستيفن رنسيمان** : الحروب الصليبية ـ جـ٣ ـ بيروت ١٩٦٩م.

٣٢ ـ **أحمـد رمضـان أحمـد** : المجـتمع الإسلامي في بلاد الشام ـ القاهرة ١٩٧٧م .

٣٣ ـ **محمـود حسـن رسـلان** : الفـرق فـي المـيزان ـ القاهرة ١٩٩٠م .

فهرست الموضوعات

رقم الإيداع
٩٥/٤٥١٧
I.S.B.N 977-54-7